# مُكَوِّنَاتُ خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ ﷺ فِي الْخُطْبَةِ الفَدَكِيَّةِ

## – قِرَاءَةُ مَلَامِحِهَا الحِجَاجِيَّةِ وَعَلَاقَاتِهَا الأُسْلُوبِيَّةِ–

أ.م.د. حيدر محمود شاكر الجديع

قِسْمُ الفِقْهِ وَأُصُولِهِ / كليّة العُلُومِ الإسْلَامِيَّة / جَامِعَة كَرْبَلَاء

**مُلخّص البحث:**

**الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فَاطِمَةَ وَأَبِيْهَا وَبَعْلِهَا وَبَنِيْهَا وَالسِّرِّ المُسْتَوْدَعِ فِيْهَا، عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ، بِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.**

**وبَعْدُ:** فإنّ القراءةَ تكشف في بحثها عن مكوّنات الخطاب بملامحها الحِجَاجيّة وعلاقات بنيتها النّصيّة في أسلوب الخطبة الفدكيّة[1] للسيّدة الزهراء ﷺ، التي تهيكل بناءه الكلّي العامّ، وتؤسس روافد مرجعياته في تكوينه الخاصّ، لكون كلام السيّدة الزهراء ﷺ مشتقّاً كلّياً من كلام الله ﷻ، فجزئيات خطابها كلّها؛ ببنيته السطحيّة والعميقة، لها تخطيطها المرسوم، وقصدها المعصوم، من حيث ما يحويه كلامها من خصوص وعموم، من هنا تكفّل المِهاد بعرض إشارات للخطبة ومناسبتها، حتّى تبتدئ القراءة بعَتَباتها لدى أسرار سيمياء العنوان وعلاقته بمناسبته، ومنها إلى هندسة ديباجة الخطبة وحركة بِنيتها النّصيّة داخل الخطاب، التي تُوْصِل القراءة إلى بيان التّناسب الدلاليّ وتراتبه السّياقيّ بكونها قطب عناصر بِنية تكوين نصّ الخطاب بمكوّناته الحِجاجيّة، ومنها إلى البحث عن ملامح أصناف الآخر في بِنية نصّ الخطاب في قوة كشف الحقيقة وبيان صورتها النّاصعة بملمح تقسيم تقابل الآخر الحِجاجيّ، من حيث الآخر الإلهيّ الذي اختار الله وانتجبه واصطفاه واصطنعه لنفسه، ومن حيث الآخر الوضعيّ الأرضيّ، وعَبْر هذا يكون الدخول في دراسة التّلقي للقرآن الكريم، بشِقَّيه الأوّل: الامتثاليّ؛ مثل افتتاح الاستهلال القرآنيّ، وتوظيف مفرداته، وتشخيص علاقة الآخر ووصفها وتصويرها، والثّاني: الاستدلاليّ؛ من الاستدلال المباشر الصريح لآياته المباركات، ومن خصائصه الحِجَاجيّة في بِنية الخطاب النّصيّة، وبعدها تزيح القراءة اللثام من على أسرار تكرار الكلمة المفتاح ووظيفته الحِجاجيّة في قصديتها المخصوصة في الخطاب ومقامها النّصيّ، كتكرار كلمة لفظ الجلالة (الله) ﷻ، وكلمة (أبي)، و(ابن) عمّي، وكلمة (كِتَاب) الله ﷻ، وفي نهاية المكوّنات يكون استقراء الاستفهامات ببِنيتها الخطابيّة واشتغالها الحِجَاجِيّ، بأقسامها بحسب عدد اشتغال أدواتها، وجُملها التي تحملها موضوعة كلّ مقطع استفهاميّ وتوجّهها حِجَاجيّاً بدلالةٍ تقصدها السيّدة الزّهراء ﷺ، والتي تعضّد خطابها في التّواصل مع المُخَاطَب.

**١ – مِهاد القراءة:**

**الخطبة ومناسبتها:**

إذا كانت الخطبة من الفنون النثرية القديمة الجديدة، من حيث كون جذر دلالتها اللغوية؛ ((الكلام المنثور [الذي] يخاطب به متكلمٌ فصيحٌ جمعاً من النّاس لإقناعهم))[٢]، فهذا يدلنا على أنّها ((المواجهة بالكلام))[٣].وعليه فإنَّ مقتضى حال الخطاب الحِجاجي يكون في مراجعة الكلام، بكون أصل الخطبة هي مصدر الخطيب[٤] من جهة، وبكون حِجاج خطابها ((ظاهرة اجتماعية وثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق محايث لنظام اللغة الداخلي، ومنفتح على العالم الخارجي، ومرتبط بدواعي القول))[٥] من جهة أخرى، ومع الأخذ بنظر الاعتبار إلى أنّ عامّة النّاس يتأثرون بمشاعرهم أكثر ممّا يتأثرون بعقولهم، فهم عند هذا أحوج ما يكونون إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحُجّة، فلا يكفي إذاً أن يعرف القائل ما ينبغي أن يقول، بل يجب عليه أن يقول القول كما ينبغي للوصول إلى حال إقناع المتلقّي المخاطَب بما يروم ويهدف إليه، من حيث إنّ التواصل الخطابيّ منوط بالتفاعل الجدلي ذي القوة الجاذبة والدافعة بين أطراف العمليات الكلاميّة[٦].

إذن محصّلة توجيه الخطبة بخطابها الحِجاجيّ، هي إقناع المتلقّي شعوراً وعقلاً بما يهدف إليه الخطيب بحجّيته الاستدلالية، ولكن بقيد المواجهة التي تستدعي أن يكون هناك طرفان الأوّل هو ذو الاحتجاج على الطرف الثاني، الآخر الذي كان مُسبّباً أو سبباً في إلقاء الطّرف الأوّل احتجاجه عليه، على وفق حدثٍ ما تأخذ خطابها طابع مناسبته منه، إذْ يجترح الخطيب شكل خطبته وتركيبها اللغويّ، وسياقات فِقَرها الدلالية، وأساليبها البلاغية، وعلاقات أسرارها الجمالية من الحدث والمناسبة كليهما، وتختلف مكونات حِجاج خطبة ما عن أخرى، تبعاً لموضوعاته الاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية والسياسية وغيرها[٧]. فكلّما كان الخطيب عارفاً بالمتلقي المخاطَب، وعالماً بمكانته على المستويات كلّها، وكاشفاً لخفيات مضمر صدره وتجليّات ظاهره، نجح في إحداث ما يريده من تغيير عنده سلباً وإيجاباً، لأنّ استدلال خطاب الحِجاج يعتمد ثلاثة أنواع من الأدلة، هي؛ اعتماده **(شخصية)** المنشئ الخطيب أو غيره؛ ومعطى **(محتوى)** الخطاب نفسه الذي يُحمل به الشكل الحِجاجيّ ومظهره البلاغيّ لخصيصة دوره الفاعل في أنماط الحياة والاتصال، وفي فتح أبواب الخطابة وخلق وسيلة الإقناع والتأثير؛ و**(مشاعر)** جمهور النّاس المتلقّين بكونها أساس بلاغة الحِجاج والإقناع، بما يحويه كلّ موضوع حِجاجيّ من قدرة على الإقناع، وتحصيل حاصل كلّ حِجاج ينحصر **بركيزتين، الأولى**؛ قدرته على استيعاب مفهوم الاستدلال، و**الثانية**؛ نضج البحث اللغويّ وتكامله[٨]. إذْ إنّ ميزة الشكل اللغويّ والتركيب النّحويّ على الرّغم من اختلافهما ولكنّ معانيهما واحدة، والهدف من عواملهما الحِجاجية واحد، إظهار حِجاجية الملفوظ لتقوية التوجيه عَبْر الانزياح أو الانتقال أو الحركة داخل الخطاب الحِجاجيّ تقصدها شخصية المنشئ المُرسِل وسعة معرفته بالمُخاطَب لإقناعه[٩].

وأمّا سلباً فالمتلقي لخطاب الخطبة يؤثر فيه تأثراً انقلابياً نفسياً، وهو الدليل الواضح على وصول قناعة الاستدلال المطلوبة منه، والمؤشر المُبِين إليه أيضاً، ممّا يبقيه في اللااستيعاب لتلك الحجيّة غفلاً أو متغافلاً، ومِنْ ثَمّ يظهر عِناده عَبْر الرفض الشيطانيّ للحقّ الذي يحمله تجاه خطاب الخطبة. وهذا هو نفسه ما حدث مع السَّيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في حجاج خطاب مناسبة خطبتها، إذِ الخصم وقومه غصبوا ثلاثة أمور إلهية عظيمة، هي:

**أوّلاً:** غصبوا مقام نبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد ﷺ ومكانتها، عندما قال لهم: آتوني بدواةٍ وقلم أكتب لكم كتاباً لم تضلوا من بعدي أبداً. فقال القوم: إنّ رسول الله يهجر!. وحاشا له ذلك لأنّه؛ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(١٠).

**ثانياً:** غصبوا خلافة الإمامة المتمثّلة آنذاك بالإمام عليّ عليه السلام وولايته، ورفضوا البيعة له بوصية رسول الله ﷺ، زاعمين أنّ أمر الخلافة شورى، فراحوا يأخذون البيعة جبراً وظلماً وجوراً..

**ثالثاً:** غصبوا منها فدكاً وهي إرثها من رسول الله ﷺ.

فلارتباط سلب ميراثها بغصب أرض **(فَدَك)** وبغصب مقام أبيها النّبي مُحمّد حبيبها رسول الله العظيم ﷺ وبغصب مقام بعلها الإمام عليّ عليه السلام في خلافة الله بالإمامة والولاية، أخذت **(فَدَك)** مأخذها منها بعمق، إذْ أصبحت الباب الرئيسة وراء إلقاء السَّيّدة الزهراء عليها السلام خطبتها التي حاربتْ وتصدّتْ بها من يريد تعطيل أحكام الله عزّ وجلّ ويريد القضاء على سنّة رسول الله مُحمّد أبيها ﷺ، لذا اشتهرت بالتَّسمية بها على مرّ العصور وحتى زماننا هذا بـ**(الخُطَّبَة الفَدَكِيَّة)**.

**٢- عَتَبَات القراءة:**

**(٣-١/أ) أسرار سيمياء العنوان ومناسبته:**

ترتكز سيمياء العنونة على بُعْدينِ، هما:

**الأوّل: البُعد الموضوعي الخارجيّ:**

يمكننا حصر هذا البُعْد في النّقاط الآتية:

أ- إنّ الأحداث المحيطة بالسَّيّدة الزهراء عليها السلام لحظة إنشائها النّص تشكّل بناء هيكله الكلّي وتفعل بصمتها في بلورة عنوان الموضوع الحامل رسالة مضمون النّص، الذي على وفقه أُنشئ.

**ب-** إنّ المُتلقي الراوي المعاصر أو اللاحق بزمن السَّيّدة الزهراء عليها السلام تلقّى الأحداث التي كانت سبب انبثاق خطابها الحِجاجيّ في قريحة السَّيّدة الزهراء عليها السلام في أثناء تفاعلها الكلّي مع تلك الأحداث ومناسبتها، وما توجهه من شفرات إلى جمهور المناسبة نفسها، فيتلبس معه اندماجاً في استيعاب المناسبة فأطلق عليه عنونته السيميائية التصويرية معها. زيادة على أنّ عقلية العربيّ منشدة انشداداً ضارباً بجذوره إلى أرضه التي يعيش فيها، والتي عاش فيها مع أحبته المقرّبين، والتي يملكها شعور عاطفته تجاهها جزء منه لا يتجزأ، وهذا واضح للمتابع لقصائدهم الشعرية، وأجناسهم النثرية، فرمز الأرض عنده الوطن الذي لا يفارقه روحاً ووجداناً وقلباً وعقلاً، ويعني له كلّ شيء من التأريخ والخصب والاستقرار والطمأنينة وغيرها.

**ت-** إنّ الجمع بين النقطتين (أ-ب) يبرز المنطلق الواضح الجليّ للعنوان المستوحى من تلك الأحداث الدائرة على مرأى السَّيّدة الزهراء عليها السلام ومسمعها، وما انعكس على الراوي ساعة تدوينه أو دراسته اللاحقة لنصّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام في أزمة متعاقبة أو متتالية ونحوهما. ولو لم يكن خروجها لمحاجّة الخضم الظالم لمقارعة الانحراف الحاصل آنذاك مرتبطاً بأرض **(فَدَك)** لاندثرت الحقيقة قبل الحقوق، ولأكل عليها الدهر والشرب !، إنّ أرض **(فَدَك)** لم تكن

أرضاً عابرة، بل لها تأريخها العريق عند اليهود قبل العرب، وقصة إهدائها اليهودي إلى الرسول مُحمّد ﷺ قد روتها الكُتب التأريخية، وإلّا لزيف عليها الخصم الظالم وزوّر مَعْلَمها، ولكن لم يستطع هو ولا الذين أتوا بعده.

**الثّاني: البُعْد الذّاتيّ الدّاخليّ:**

إنّ مرجعيات تكوين علم السَّيّدة الزهراء عليها السلام وثقافتها لها الدور المركزي في بُعدها التفاعلي الشموليّ مع الأحداث ومناسباتها من جانب، ومع تكوين النّص وبنياته الظاهرة والباطنة من جانب آخر. فما ينضح به إناء حِجاج خطابها وتكوينه يلقي بظلاله في رسم العنوان وصورته السيميائية من طرف المنشئ تارة، ومن طرف جمهور الخطاب بحسب تشخيصهم لمضامين معانيه عَبْر عبارته وإشارته ولطائفه وحقائقه، إذْ يعطيهم التشخيص الطابع المُبين لصورة عنوانه الكاشفة، في ضوء إدارة حركته داخل النّص الواحد أو مجموعة نصوص عنوانها واحد، بكونه ((الفعل الأوّل الذي يجهّز القراءة بالأدوات المطلوبة لتفكيك الشّفرات الراكزة والمنتجة للمعنى الأدبيّ في كلّ نصّ))[١١]، ومِن ثَمّ فالعنوان هو المتكفّل عَبْر تحديده السياق الخاص لخطاب الإبلاغ كلّه الذي به يكون تحديد العلامات غير المتحقّقة فيه نفسه، وفي سياقه تتدرج العلامة وتؤول ضمنه[١٢]، وهو ما أشرنا إليه آنفاً من ارتباط اغتصاب **(فَدَك)** بهتك مقام النّبوة من جهة، وبغصب خلافة الله من إمامٍ مُفترض الطاعة من جهةٍ أخرى.

وممّا تقدّم نلحظ السَّيّدة الزهراء عليها السلام في نصّ خطبتها قد شخّصت المناسبة وسببها وقطب الأحداث المترتّبة في إثْرها، إذْ قالت عليها السلام: **((هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أَبِي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ فِي خِصَامِي، وَأَلْفَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلَامِي، حَتَّى حَبَسَتْنِي قَيْلَةُ نَصْرَهَا، وَالمُهاجِرَةُ وَصْلَهَا، وَغَضَّتِ الجَماعَةُ دُوْنِي طَرْفَهَا؛ فَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ، خَرَجْتُ كَاظِمَةً، وَعُدْتُ رَاغِمَةً))**. إنّ **(نُحَيْلَةَ أَبِي وَبُلْغَةَ ابْنِي)**، هي إشارة سيميائية إلى **(فَدَك)** ومتعلّقات حقوقها الملازمات من الميراث.

## (٣-١/ب) هَنْدَسَة دِيْبَاجَةِ الخُطْبَةِ وَبِنْيَتُها:

إنّ لكلّ خطاب باختلاف جنسه وصنفه، عناصر يختصّ بها عن سائر الخطابات، لذا فالخطاب الحِجاجيّ له عناصره التي تكوّن علاقته الحِجاجيّة، وهي لا تقل عن ثلاثةٍ: قول (الانطلاق/المعطى) الديباجة ومقدمات الاستهلال، وقول (العبور) حامل الحُجّة والدّليل، وقول (الوصول) الذي فيه الخلاصة ونتيجة الحاصل الحِجاجيّ[١٣]، وعليه فلخطاب السيّدة الزّهراء عليها السلام ديباجته ومقدماتها الاستهلالية وهندستها وبنيتها القائمة بها، والتي تقول فيها:

**(الْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِمَا قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأَها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْدَاهَا، وَتَمَامِ مِنَنٍ وَالاهَا، جَمَّ عَنِ الإحْصَاءِ عَدَدُهَا، وَنَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا، وَتَفَاوَتَ عَنِ الإدْرَاكِ أَبَدُهَا، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لِاتِّصَالِها، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلائِقِ بِإِجْزَالِها، وَثَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا).**

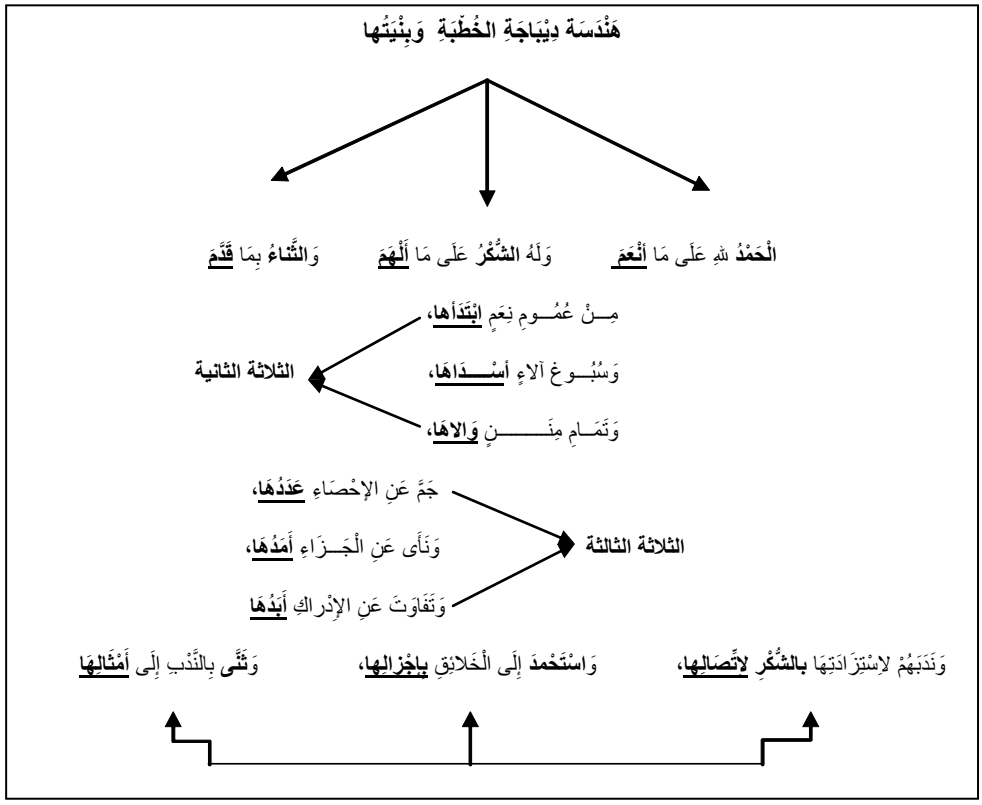


إنّ هندسة الديباجة بَنَتْها السَّيّدة الزهراء عليها السلام على أساس ثلاثية الفاصلة **(المثلث الصوتيّ)**، فجاءت الفاصلات الثلاث الأولى بصوت (الميم / م) = **(أَنْعَمَ – أَلْهَمَ – قَدَّمَ)** باختلاف الصوت السابق لرويها وهو **(الميم)** نفسه، فالأولى سبقه **(العين /ع+م)** = **(أَنْعَمَ)**، والثانية **(الهاء /هـ+م)** = **(أَلْهَمَ)**، والثالثة **(الدال /د+م)** = **(قَدَّمَ)**. والجمع بين هذه الأصوات الثلاثة السابقة لصوت روي فاصلتها يكوّن مفردة **(عهد)**.

وكذا سائر أصوات فاصلات الديباجة التسع ختمت بصوت روي واحد ألا هو صوت **(الهاء المطلقة)** المختومة بألف الاطلاق. إلّا أنّ الصوت السابق لروي الثلاث الثانية كان **(الألف /أ)**، والصوت السابق للثلاث الثالثة **(الدال /د)**، والصوت السابق للثلاث الرابعة **(اللام /ل)**. والجمع بين الأصوات السابقة نفسها (أ+د+ل) يكوّن مفردة = **(أدل)**، وبهذا الرمز الصوتي ودلالته فإنّ مفردة **(عهد)** مع مفردة **(أدل)** يركّبان جملة مفيدة حملتها ديباجة الخطبة تعطي المعنى المركزي لما تريده السَّيّدة الزهراء عليها السلام أَلَا وهو دلالة قراءة الجملة على أنّها اسمية؛ **(عَهْدٌ أَدَلُّ)** ثبوت خلافة إمامة الأئمة المعصومين الاثني عشر، وكذا ثبوت الإرث لأولاد الأنبياء والرسل، أو بدلالة قراءتها على أنها فعلية؛ (عَهَدَ أَدَلّ) فعلية تكفّل الله عزّ وجلّ بإمامتهم مهما يمرون به من ظلمٍ وحيفٍ، من حيث إنّ الخصم الغاصب الظالم للإمامة وللإرث منهم لا يناله عهد الله عزّ وجلّ ، وهو ما تضمّنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[١٤].

وهذا ما أشارت السَّيّدة الزهراء عليها السلام إليه في رمز سيمياء تشكيل أصوات الفاصلات الاثنتي عشرة **(١٢)** بمثلثها الصّوتي الذي يوافق وينسجم مع مثلث سيمياء عنوان الخطبة الصوتيّ **(فَدَك)**:

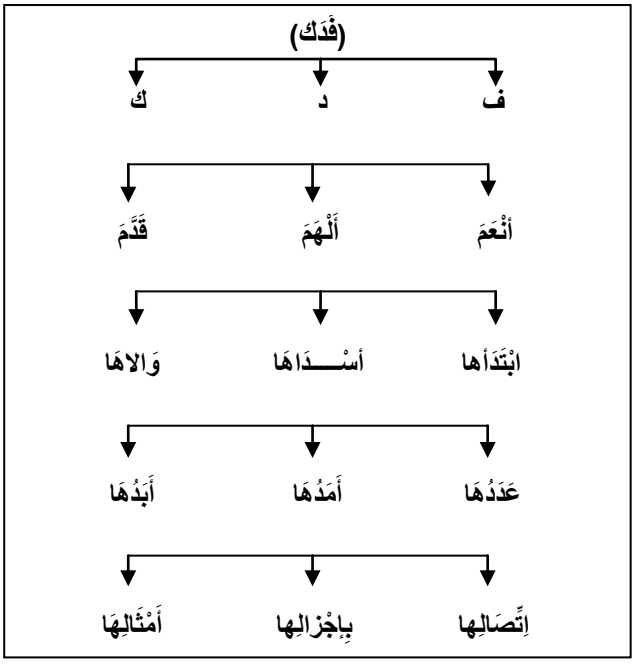


من حيث إنَّ عهد الله ﷻ لا ينال أمثال ابن أبي قحافة، ومن اشترك معه الذين أسسوا أساس الظلم على أهل البيت ﷺ، وسلبوا حقّهم وغصبوا الخلافة الإلهية (الإمامة) بحيلة (الشُّورى)، ومن قبلُ هتكوا مقام خاتم الأنبياء والمرسلين بزعم (أنّه يهجر) وحاشا لرسول الله العظيم مُحَمَّد ﷺ ذلك، إذْ إنّهُ ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ¤ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[١٥]، وما رافقها من ظلامات وقعت على السَّيّدة الزهراء ﷺ، من منع إرثها وسلبه غصباً، وأخذ بعلها. ولقد جسّدتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ الإمامة المتمثلة بـ(**اثني عشر إماماً**) = (١٢) بفاصلات ديباجة خطبتها العصماء التي جاءت اثنتي عشرة فاصلة (١٢) وبمثلث صوتيّ، كما تقدّمت الإشارة إليه آنفاً، وهذا كلّهُ هو ما خرجت السَّيّدة الزهراء ﷺ من أجله، وألقت خطبتها اللدنيّة العظيمة.

ثمّ نلحظ أَنَّ السَّيّدة الزهراء ﷺ بدأت ديباجة خطبتها بـ(**الْحَمْد للهِ**)، وتلتها بـ(**الشُّكْر**)، وختمتها بـ(**الثَّنَاء**) منذ ثالثة الثلاث الأولى، وحتى ثالثة الثلاث الرابعة. فانحصرت الديباجة بـ(**الثَّنَاء**) أوّلاً وأخيراً. ولا غلو فهي كفؤ القرآن الناطق بعلها الإمام عليّ ﷺ، ولا بدّ لها من أن تفتتح وتستهل وتبدأ خطبتها بـ(**الْحَمْد للهِ**) كما افتتح القرآن المنزل المرسوم واستهل به، لأنّها بحسب علمها الإلهيّ تعلم أنّ كلّ كلامٍ أو قولٍ اللذان ينتمي كلّ لفظ منشأ إليهما، ومنه خطبتها، إذا لم يكونا مبتدأين بـ(**الْحَمْد للهِ**) يكون (**أَبْتَر**)، كالصّلاة على أبيها رسول الله ﷺ إذا لم تتبعها الصّلاة على (**آلهِ**) تكون (**بَتْرَاء**). لذلك عطفت تالية (**الْحَمْد للهِ**) بـ(**لَهُ الشُّكْرُ**)، لأنّها أرادت بيان أنّ الذي يختصّ بـ(**الْحَمْد لَهُ**) وحده هو وحده كذلك (**لَهُ الشُّكْرُ**)، وكذا نلحظها قدّمت شِبْه الجملة (**لَهُ**) على الغرض المخصوص بالذكر وهو (**الشُّكْرُ**) لتعطي لمتلقيها اختصاص الله ﷻ بـ(**الشُّكْر**) من بين سائر مشتركات الشكر بخلائقه جميعاً.

من هنا نرى أنّها ختمت بعد (**الْحَمْد**)، و(**الشُّكْر**)، بـ(**الثَّنَاء**)، لعلمها أَنَّ الذي يكون مُختصّاً بـ(**الْحَمْد**)، و(**الشُّكْر**)، وحده هو الإله الواحد الأحد الذي يستحق (**الثَّنَاء**) لوحده ﷻ أيضاً. وهذا ما لا يكون لغيره من خلائقه أجمعين. لذلك نجدها فصّلت وكفّلت وكثّفت في حشو فاصلات ديباجة خطبتها السِّت الواقعات بين الثلاث الأولى، وبين الثلاث الرابعة

الأخيرة مضامين هذه المعاني العالية، إذْ أوجزتْ فيها **(الحَمْد كُلّه)**، **(الشُّكْر كُلّه)**، **(الثَّنَاء كُلّه)**. ومِنْ ثَمَّ نلمحها في ختام ديباجة خطبتها راجعة ذكر ما ابتدأتها به، ولكن هذه المرة بتقديم **(الشُّكْر للهِ)** على **(الْحَمْد للهِ)** ﷻ، وبعدهما ختمتها بفاصلتها الثانية عشرة منها بـ**(الثَّنَاء)** كما ختمت به في صدر استهلالها أيضاً كما أشرنا إليه آنفاً.

وما تقديمها **(الشُّكْر)** ختاماً إلّا لمعرفتها العرفانية أنّ الذي يكون له **(الْحَمْد)** أوّلاً ومختصّاً به من حيث هو مصدر **(عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها)**، و**(سُبُوغِ آلاءٍ أسْدَاهَا)**، و**(تَمَامِ مِنَنٍ وَالاهَا)**، التي **(جَمَّ عَنِ الإحْصَاءِ عَدَدُهَا)**، و**(نَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا)**، و**(تَفَاوَتَ عَنِ الإدْرَاكِ أَبَدُهَا)**، يكون له الختام أخيراً بـ**(الشُّكْر)**، وهو له لأنّه ﷻ ندب الخلائق لاستزادة **(عُمُومِ نِعَمٍ)**، **(سُبُوغِ آلاءٍ)**، **(تَمَامِ مِنَنٍ)**، بـ**(الشُّكْر)** لاتصالها ولاستمرارها، ومِن ثَمَّ **(الْحَمْد للهِ)** ﷻ بعد الشَّكْر، لأنّ الإجزال على الخلائق مختصّ به لا بغيره، لذلك ختمت السَّيّدة الزهراء عليها السلام ديباجة خطبتها بـ**(الثَّنَاء)** إذْ هو ﷻ **(ثَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا)**، من حيث إنّ كلّ شيء من الله ﷻ وفيه وعليه وإليه ولهُ.

**(٣-٢): التَّناسب الدلاليّ وتراتبه السّياقيّ:**

إنّ الذي ينعم النّظر مُتدبراً في البُعد الوظيفيّ لألفاظ بِنية خطبة السَّيّدة الزهراء عليها السلام ومفرداتها، يلمح التجاوب السّياقي، والتّناغم المقاميّ، والتفاعل المعنويّ، الموظّف بدقّة في تقوية التناسب الدلاليّ وترابته السياقيّ، إذْ من غير الممكن لأيّ متلقٍّ أن يتصرف باستبدال مفردة بدل أخرى إلّا ويلحظ انكسار المعنى الغائيّ الذي قصدته السَّيّدة الزهراء عليها السلام من وراء توظيفها إيّاه. إذْ إنّ الألفاظ أو المفردات تتعاطى والمبتغى المقصود من توظيفها البنائي العامّ، ومن حملها الدلالات المنسوجة في بُعدها الغرضيّ الخاصّ فيما بينها. فتحرز قناعة المتلقي بأصنافه كافة، من تلقّيه في الوهلة الأُوْلى لها، وكذا تتجذّر القناعة عنده بتعدّد قراءاته للخطبة، وتأمله خطاب أسلوب حِجاجها أيضاً.

ولكي تتجلّى الموضوعة واضحة الإثبات، لا بُدّ من نماذج تعزّز مقام التّناسب الدّلاليّ وتراتبه السّياقيّ، منها قولها عليها السلام: **(الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ)**.

| | | |
|---|---|---|
| الحَمْد | ⟷ | أَنْعَم |
| الشُّكْر | ⟷ | أَلْهَم |
| الثَّنَاء | ⟷ | قَدَّم |

نجد هذه الكلمات **(الحَمْد)**، **(الشُّكْر)**، **(الثَّنَاء)**، مفاتح ديباجة الخطبة التي حملت كل واحدة مفتاح غرضها الرئيس، فنلمح أنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام وظّفت مفردة **(أَنْعَم)** قبال كلمة الحَمْد، ومفردة **(أَلْهَم)** قبال كلمة الشُّكر، ومفردة **(قَدَّم)** قبال كلمة الثَّناء، ولم توظّف واحدة بدل الأخرى في السياق نفسه، كأن تضع **(أَنْعَم)** مع الشّكر أو مع الثّناء، أو تغيّر المكان السياقي لمفردة **(أَلْهَم)** في

جملة افتتاحية الحَمْد، أو في جملة الثّناء، وهكذا هي الحال بخصوص مفردة **(قَدَّم)**. لماذا ؟، لأنّ المنعم المطلق على الخلائق كافة هو **(اللهُ)** وحده لا شريك له، لذلك اختصّ وحده بـ**(الحَمْد)**، لذلك نلحظ التناسب الدلاليّ المتبادل بين **(الحَمْد)** و**(أَنْعَم)** بدءاً وختاماً وبالعكس، وكذا الحال مع **(الشُّكْر)** ومفردة **(أَلْهَم)**، إذْ إنّه على الرغم من تعارف العقلاء باشتراكه بين الخالق والمخلوق، إلا أنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام كانت قاصدة الشُّكر للخالق على خلقه المخلوق قبل أن يكون الشّكر نفسه مشتركاً، لذلك لوجود لمفردة تتناسب مع هذا الشُّكر الذي تخص به الله إلّا هذه المفردة **(أَلْهَم)**، من هنا نجدها عليها السلام ختمت استهلال ديباجة فاتحة خطبتها عند جملة غرضها الثالثة منه بـ**(الثَّنَاء)** بما **(قَدَّم)**، لعلمها أنّ الذي له **(الْحَمْد عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ)** وهو وحده الذي يستحقّ **(الثَّناء بِما قَدَّمَ)**، لذلك جاءت مفردة **(قَدَّمَ)** فعل ماضٍ مضعّفاً متناسباً دلالياً وتراتباً سياقيّاً مع **(الثَّنَاء)** الغرض الأساس، ومِنْ ثَمَّ مع **(الحَمْد)** بالإنعام، و**(الشُّكْر)** بالإلهام، **(مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها)**، و**(سُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها)**، و**(تَمامِ مِنَنٍ والاها)**. وعندها **(بِما قَدَّمَ)** كان **(الثَّنَاء)** لله أهلاً له وحده، من حيث إنّ الذي **(قَدَّمَهُ)** من إنعام وإلهام، والمتجليّ بما **( قَدَّمَها)** من **(نِعَمٍ)**، و**(آلاءٍ)**، و**(مِنَنٍ)**، **(جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها)**. وعَبْر هذا التناسب الدلاليّ وتراتبه السياق يكشف التراتب الغرض الغائي من تقديم السَّيّدة الزهراء عليها السلام **(الحَمْد)** في السياق التركيبيّ على **(الشُّكْر)**، وتأخير **(الثَّنَاء)** عنه، بعد تقدّم **(الشُّكْر)** عليه في توظيف تراتب البناء السياقي نفسه، كما اتضحت قصديتها آنفاً.

ومن نماذجِهما كذلك قولها عليها السلام: **(وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْوِيْلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوْبَ مَوْصُوْلَها، وَأَنَارَ فِي الْفِكْرِ مَعْقُولَها)**، نلحظ أنّها وظّفت **(جَعَلَ – تَأْوِيْلَهَا)**، و**(ضَمَّنَ – مَوْصُوْلَها)**، و**(أَنَارَ – مَعْقُولَها)**، ومن النَّماذج قولها عليها السلام أيضاً: **(وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّداً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنِ اجْتَبَاهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلَائِقُ بِالغَيْبِ مَكْنُوْنَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهَاوِيلِ مَصُوْنَةٌ، وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُوْنَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعَالى بِمَآيِلِ الأُمُوْرِ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُوْرِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ المَقْدُورِ، ابْتَعَثَهُ اللهُ تعَالَى إِتْمَاماً لأَمْرِهِ، وَعَزِيْمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَاذاً لِمَقَادِيْرِ حَتْمِهِ)**، عند تدقيق النّظر في نصّ قولها عليها السلام نجدها منتقية من الألفاظ ومفرداتها في تشكيل التناسب الدّلالي، وكذا تراتبها السياقيّ، **(اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ – أَرْسَلَهُ)**، و**(سَمَّاهُ – اجْتَبَاهُ)**، **(اصْطَفَاهُ – ابْتَعَثَهُ)**، فالسَّيّدة الزهراء عليها السلام أثبتت مقامات رسول الله صلى الله عليه وآله أبيها عند الله عز وجل عَبْر توظيفها مفردات تتناسب دلالياً وسياقياً مع ما تريد إثباته من المقام العظيم للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، لذلك نجد مقامه من الرسالة عند الله تعالى **(اخْتَارَهُ / انْتَجَبَهُ)** إذْ جعلت قرب مقام الرسول صلى الله عليه وآله من الله تعالى متجسّداً بالضمير المتصل العائد إلى الله سبحانه، وكذا الضمير المتصل نفسه مُصوّراً مقام الرسول من القرب الإلهيّ. لذلك ألحقتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام الاختيار والانتجاء مقاماً آخر للرسول صلى الله عليه وآله ألا وهو (التسمية والاجتباء) فقالت: **(سَمَّاهُ – اجْتَبَاهُ)**، إذن بعد أن اختاره وانتجبه أرسله وسمّاه واجتباه، وبعد أن **(اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ وسَمَّاهُ)**، **(أَرْسَلَهُ و اجْتَبَاهُ)**، ومِنْ ثَمَّ **(ابْتَعَثَهُ)** بعد أن **(اصْطَفَاهُ)**. لذلك نلحظ التناسب الدلاليّ في مفردات الألفاظ ومعانيها بيّناً، فـ**(الاختيار والانتجاب والتسمية والاصطفاء)** في حقل تناسبٍ دلاليٍّ واحد، وكذا **(الإرسال والاجتباء والابتعاث)** في حقل دلاليٍّ واحد أيضاً، تناسباً معنوياً وتراتباً سياقيّاً ونسقياً، وهو ما نراه في تناسب **(أَرْسَلَهُ بـ/ اخْتَارَهُ و انْتَجَبَهُ )**؛ و**(سَمَّاهُ بـ/ اجْتَبَاهُ)**؛ و**(اصْطَفَاهُ بـ/ ابْتَعَثَهُ)**، وهكذا في تراتب توظيف هذه المفردات دلاليّاً، إذْ إنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام قدّمت في الرُّتبة النّصية أو الرُّتبة التركيبية مفردة وأخّرت أخرى عليها، فقدّمتِ الفعل **(اخْتَارَهُ)** على الفعل **(انْتَجَبَهُ)**، وأخّرتِ الفعل **(سَمَّاهُ)** عن سابقه، وقدّمته على الفعل **(اصْطَفَاهُ)**، وكذلك **(أَرْسَلَهُ)** على **(اجْتَبَاهُ)** وهذا الفعل على **(ابْتَعَثَهُ)**، كما يوضحه المخطّط الآتي:

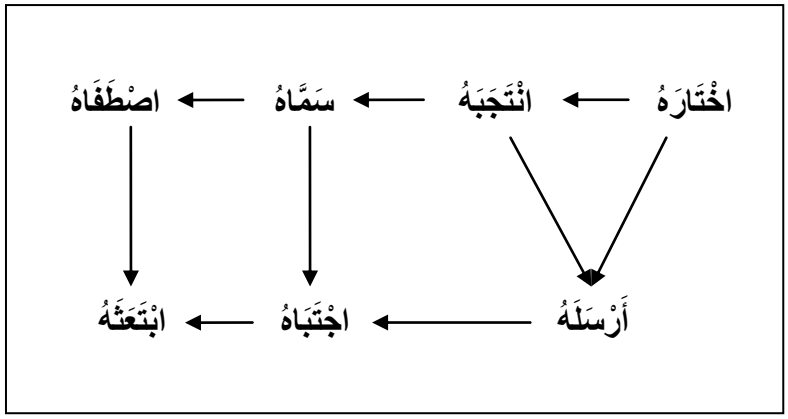


وبعد هذا قالت عليها السلام: **(إِذِ الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُوْنَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهَاوِيلِ مَصُوْنَةٌ، وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُوْنَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعَالى بِمَآيِلِ الأُمُوْرِ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُوْرِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ المَقْدُورِ، ابْتَعَثَهُ اللهُ تعَالَى إِتْمَاماً لأَمْرِهِ، وَعَزِيْمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَاذاً لِمَقَادِيْرِ حَتْمِهِ)**.

نلحظ التناسب الدلاليّ في مفردات النّص **(بِالغَيْبِ ؛ بِسِتْرِ ؛ بِنِهَايَةِ الْعَدَمِ)**، وهذه الثلاث معناها في حقل دلاليّ واحد، فـ**(الغيب والستر ونهاية العدم)**، كلها مجهولة العلم لأنها مختصّة بالله عزّ وجلّ وحده ولمَن أَذِن لَهُ، وأمّا الألفاظ **(مَكْنُوْنَةٌ ؛ مَصُوْنَةٌ ؛ مَقْرُوْنَةٌ)**، فدلالاتها متناسبة من حيث إلماح المعنى، إذْ إنَّ المكنون مصون والمصون مقرون !، وكذا الألفاظ **(عِلْماً ؛ إِحَاطَةً ؛ مَعْرِفَةً)** فهي متناسبة دلالياً أيضاً، العلم إحاطة والإحاطة معرفة وهكذا، وكذا الألفاظ **(إِتْمَاماً ؛ إِمْضَاءِ ؛ إِنْفَاذاً)** فكلها تؤدي المعاني المساقة في النّص لأجله، من حيثُ إنّ الإتمام مرتبط بالإمضاء دلالياً، وكلاهما لا ينفصلان عن نتاج معنى إنفاذ كلّ شيء.

ثُمّ نجد التراتب الدلاليّ بين الألفاظ النّص نفسه، فإنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام وضعت **(بِالغَيْبِ)** مع **(مَكْنُوْنَةٌ)**، و**(بِسِتْرِ)** مع **(مَصُوْنَةٌ)**، و**(بِنِهَايَةِ الْعَدَمِ)** مع **(مَقْرُوْنَةٌ)**. ولم تجعل تقديماً وتأخيراً بين هذا الألفاظ نفسها على الرغم من التقارب الدلاليّ بينها في السياق كأن تقول: (بِالغَيْبِ مصونة أو بستر الأهاويل مكنونة أو بنهاية العدم مكنونة ومصونة)، لعلمها عليها السلام باللغة ودقائقها، والألفاظ ودلالاتها، ولا عجب فهي ابنة أفصح العرب وأعلمهم.

ومن نماذجها كذلك قولها عليها السلام: **(وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ)**.

لو دقّقنا النظر في الألفاظ **(بَيِّنَةٌ – مُنْكَشِفَةٌ – مُتَجَلِّيَةٌ)**، نلحظ تناسبها الدلاليّ واضحاً، فالبيّن منكشفٌ والمنكشف مُتجلٍّ، والعكس صحيح المُتجلي بيّنٌ منكشفٌ أيضاً، من هنا نرى تراتبها السياقي كذلك، إذْ إنّها لم تقل: **(مُنْكَشِفَةٌ أو مُتَجَلِّيَةٌ بَصائِرُهُ – وبَيِّنَةٌ أو مُتَجَلِّيَةٌ سَرائِرُهُ – وبَيِّنَةٌ أو مُنْكَشِفَةٌ ظَواهِرُهُ)** وإنّما ناسبت وراتبت بينها دلالياً وسياقياً في تركيب نصّها اللغويّ. وغير هذه الأمثلة كثيرة في تناسب ألفاظ الخطبة ومفرداتها الدلاليّ، وتراتبها السياقيّ كلّها.

**(٣-٣): أَصْنَافُ الآخِرِ ومَلَامِحُه فِي خِطَابِها الحِجَاجِيّ:**

يشكّل الآخر في خطبة السَّيّدة الزهراء ﷺ الفدكيّة عصب التكوين خطابها الحِجَاجيّ للخطبة كلّها، بما (يتضمنه من سياقات وإجراءات معروفة هو المحرك الرئيس لعملية الفرز والاختيار بحسب ما يقتضيه سياق كلّ خطاب، وتفاعل – مرسل ومستقبل–، وطرائق التّحليل... من حيث سياقات الخطاب المختلفة، سياق القول، وسياق الثقافة، والسياق المرجعي، وتوظيفه للكشف عن رسالة نصّه وربط خطابه بالخطابات الأخرى)[١٦]، ومن حيث إنّ الحِجاج بحسب مكوّنات الخطاب يتشكّل بتشكّله، وتتغيّر وظائفه وطرائقه الاستدلالية بتغيّره[١٧]، إذْ نجد أنّه الدافع القطب الراكز عند السيّدة الزهراء ﷺ وراء إلقاء خطابها الحجاجيّ برمته، ويتوزع الآخر في خطبتها الفدكية في صنفين؛ **الأوّل: (الآخر الإلهيّ الرحمانيّ / حزب الله الغالب)**: الذي خرجت تناصره وتطالب بحقّه المغصوب بكونها ممثلةً له وعنه في زمن حجّتها الإلهية الرابطة موصلاً بين النّبوة والإمامة على النّاس كافّة. ولقد أثبتتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ ملامح ينماز بها عن صنف ملامح الآخر؛ الذي هو **الصّنف الثاني: (الآخر الوَضْعيّ الأَرْضيّ ومَلَامِحه / حِزْب الشَّيْطَان الزَّاهِق)**، إذْ رسمت ملامحه التي تتمثّل صورته بها. كلّ على وفق سُلّمه الحِجاجيّ في واقعه الحاليّ والمقاميّ، فالصنف الأول له درجات سلوكه، وكذا الصنف الثّاني له دركات سلوكه غير القويم[١٨]، وكما هو بيان صنفي الآخر في الآتي:

**(٣-٣-١) الآخر الاستثنائي الإلهيّ الرَّحْمَانيّ ومَلامِحُه (حِزْب الله الغَالِب):**

أقطاب هذا الصّنف (**الثّقلانِ**) **الثّقل الأوّل: (كِتابُ الله القرآن العظيم)، والثّقل الثاني: (أَهْلُ بَيْتِ النّبوةِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ﷺ)** وجهاء الله وممثّلوه والأُسوة على الخلائق بين السموات والأرض كافة؛ (أبوها الرّسول **مُحَمّدٌ** ﷺ، وابن عمّها بعلها الإمام **عليّ** عليه السلام، وهي زوجه **فاطمة** ﷺ، وأبناؤها **الحَسَن والحُسَين** الإمامان إن قاما وإن قعدا عليهما السلام و**الأئمة المعصومون** من ذرية الإمام الحُسَين ﷺ)، إذْ كلا الثّقلان متوقف وجود أحدهما على الآخر، كما نصّ حديث النّبي محمّد ﷺ على هذا فقال: **((إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمُ الثَّقَلَيْنِ؛ أَحَدهُمَا أَكْبَر مِنَ الآخَرِ، كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَن يَّفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ))**[١٩].

ولقد شخّصتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ ملامح هذا الصّنف الإلهيّ المبارك العظيم المتمثّل بـ(**الثّقلين**) ففي **ملامح الثّقل الأوّل (كِتَاب الله القُرآن الكَرِيْم)**، قالت: **(كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرائِعُهُ المَكْتُوبَةُ)**. وقالت فيه كذلك: **(وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ)**. لذلك كانت نتيجة عرضها لملامحه المباركة قولها: **(هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً)**، إذن فهو كتاب الله الناطق فبإضافتِه إلى الله عزّ أفادتْ هذه الإضافة تلازم صدوره من الذات المقدّسة، ومِنْ ثَمَّ فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيكون ناطقاً بالحقّ المطلق الذي لا ريب ولا شكّ معه. وكذا فهو القرآن الصادق، لأنّه –كما تقدّم– كتاب الله الناطق فهو صادق بما جاء به كلّه، من إخباره بأمور الدنيا وأحوال الآخرة. فإذا كان هو كتاب الله الناطق والقرآن الصادق بلحاظ ما أوجزنا القول فيهما، فتحصيل الحاصل تكون سائر ملامحه الواردة في قول السَّيّدة الزهراء ﷺ ثابتةً متحقّقةً على طوال العصور والدهور كلّها.

أمّا **ملامح الثّقل الثّاني من الصّنف الأوّل (عِتْرَة أَهْل البَيْت الطَّاهِرَة ﷺ)**، فلقد ابتدأتها **بالرّسول محمّد ﷺ** أبيها إذْ قالت: **((وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَباهُ، وَاصْطفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهَاوِيل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ. فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأوْثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَوِيمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّرِيقِ المُستَقِيمِ. ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفّارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيِّهِ وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ)). ((فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ)). هو (المُنْقِذ) لقولها عليها السلام: ((فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي)). ((فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَ الزَّعِيْمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ)). ((أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَاُضيعَ الْحَرِيمُ، وَاُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ –جَلَّ ثَناؤُهُ– فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ)). ((ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ عَنْ كِتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ)). ((أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي ..؟)). وبعده تتلو ملامح أخيه وابن عمّها **الإمام عليّ** عليه السلام التي هي مشتقّة نابعة من ملامح الرسول الأعظم محمّد ﷺ فتقول: **((أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟))**، ثمّ تشفعها بقولها: **((وَأخا ابْنِ عَمّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ صَلى الله عليه وآله))**، حتى تصل محدّدة بصمات ملامحه الخاصّات به عليه السلام التي كان رسول الله محمّد ﷺ يخصّه بها بنفسه، فتقول: **((وَبَعْدَ أنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، {كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ}، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سَيِّدَ أَوْلِياءِ اللّهِ، مُشْمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً))**. حتّى تلتفت مُبيّنةً للإمام عليّ عليه السلام مشيرةً إلى الظالم الرئيس للظلم (ابن أبي قحافة)، ولتذكر بعد الإشارة إليه قطيبين آخرين من عترة الشجرة الطيّبة هما؛ **(الإمامانِ الحَسَنَانِ عليهما السلام)** ابناها بكونهما الوريثين الشرعيين من جدهما رسول الله محمّد ﷺ من حيث إنَّ نُحَيْلة إرثها من أبيها هي في النتيجة بلغة أبنائها، فتقول: **((هذا ابْنُ أبي قُحافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أبي وَبُلْغَةَ ابْنَي))**. وعَبْر بيانها ملامح أقطاب **(الثَّقَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ)** التي هي سرّها المستودع فيها، تأتي بذكر نفسها لتعلم النّاس كافة أنّها ترجمان كتاب الله الناطق وقرآنه الصادق، وأُمّ أبيها رسول الله العظيم محمّد ﷺ وزوج بعلها الإمام عليّ عليه السلام خليفة رسول الله الذي هو عالم بخصوص القرآن وعمومه، لأنّه باب مدينة عِلْمه، ونفسه وأخاه كما جاء كلام الله في كتابه العظيم: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾[٢٠]، فتقول: **((أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ))**،

فسياق خطابها الحجاجيّ فيه إيحاء أنّ النّاس الذين خصّتهم بقولها: **(اعْلَمُوا أنّي فاطِمَةُ)**، هم يعلمون أنّها مَن تكون ؟! وإلى أيّ بيتٍ تنتسب ؟!، وكأنّها أرادت تذكيرهم وتوبيخهم بفعلهم الشيطانيّ المنحرف الباطل، من حيثُ هم مع مَن هم يقفون بالضّد والحرب والظلم ؟!، لتلقي عليهم الحُجّة التّامّة.

**(٣-٣-٢) الآخر الوَضْعيّ الأَرْضيّ ومَلَامِحه (حِزْب الشَّيْطَان الزَّاهِق):**

يقابل هذا الآخر وهو الصّنف الثاني الذي ذكرته السَّيّدة الزهراء ﷺ الآخر الإلهيّ الرحمانيّ آنف الذكر. وهذا الآخر الوضعي الشيطانيّ له أولياؤه الذين حدّدت ملامحهم التي ينمازون بها، وهم: **(الزّاعمون أنّهم عِبَادُ الله تَعالى)** وملامحهم أنّهم أَصحاب رياء بكونهم عباد الله وأنّهم نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء على أنفسهم، وهم المنصوص عليهم بتبليغ الرسالة إلى الأمم، على ما يزعمون أنّهم أهل حقّ من الله منزل فيهم بعهد مقدّم إليهم، والخلافة لهم ولمن يريدون من بقيتهم كما زعموا !. من هنا جاء خطابها التقريعي لهم بزيف ريائهم وبطلان زعمهم، وملازمتهم للشّيطان وأوليائه، حتى أصبحوا هم أنفسهم شياطين بمقتضى تلك الملازمة للشيطان[٢١]، فقالت لهم: **(أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ)**.

ومن ثَمّ يأتي وليٌّ آخر ذكراً من أولياء هذا الصّنف في سياق خطابها؛ **(النّاس الذين غرتهم الدنيا بزينتها وزخرفها فركبهم الشيطان)**، فكان خطابها لهؤلاء الناس الذين فضّلوا حطام الدنيا على الحق وأهله، فقالت لهم: **((مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرْآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها﴾ كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَ لَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ _ وَاللهِ_ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلاً إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، ﴿وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ﴾ وَ﴿خَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلونَ﴾))**. وواضح من قولها دقّة تشخيص السَّيّدة الزهراء ﷺ لملامح هذا الولي من حيث هم مسرعون إلى قيل الباطل، غاضّون أبصارهم عن محاربة الفعل القبيح وإصلاحه، ولا تدبّر عندهم للقرآن بسبب أنّ قلوبهم رآن عليها لسوء أعمالهم، والله آخذ بسمعهم وأبصارهم فهم صمّ بكم عمي، وأهل تأويل منحرف لأنهم لا يتدبرون القرآن بتعمدهم تركه، لذلك أساءوا الإشارة والمشورة، وقدّموا الشَّر في الشَر في أعمالهم الخبيثة كلّها.

وبعده يأتي وليّ شيطانيّ آخر تدخله السَّيّدة الزهراء في دائرة آخر الصّنف الثاني أيضاً، وهم **(المُسْلِمُون)**؛ إذْ قصدتْ بخطابها لمن هم مسلمون وينبغي عليهم اتباع مبادئ الإسلام الحنيف والالتزام بأحكام شرعه، لذلك التفتتْ معرّجةً مباشرةً بخطابها إلى **(ابن أبي قحافة)** وبأسلوب الاستفهام الإنكاري، لكونه رئيس الأولياء: **((أَيُهَا الْمُسْلِمونَ أُ اُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟!))**، ومِنْ ثَمَّ تخصّص ملامح هذا الرئيس المركز (ابن أبي قحافة) في افتعال الأحداث كلّها بصورة خصوص الخصوص بكونه مخطط دائرة الظلم كلّها على الثقل الثاني عدل الثّقل الأوّل كتاب الله القرآن من الصّنف الأوّل الآخر الإلهيّ الرحمانيّ عترة أهل بيت النّبوة ﷺ، فتقول له منكرة باستفهامها عليه فعله الظالم منعها إرث أبيها رسول الله محمّد ﷺ: **((يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أ في كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟، ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾[٢٢]، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ؟))**. فالسَّيّدة الزهراء ﷺ بقولها إياه هذا تكشف حقيقة ملامح رئيس الصّنف

الثاني على أنّه عاصٍ لله في ترك حكمه الإرثيّ في كتابه القرآن ومنعها وغصبه لصالح مصالحه الشخصية له ولحزبه الشيطانيّ فجعل لنفسه حقّ إرث أبيه أبي قحافة، ومنعها منه افتراءً **أوّلاً**، وعلى أنّه هو وقوم حزبه تعمّدوا بإرادتهم معاندين تركهم كتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم **ثانياً**، وعلى أنّهم كانوا يعلمون مَن هي السَّيّدة الزهراء ﷺ وما مقام علمها من خصوص القرآن وعمومه من حيث هي مقامها واقعٌ بين مدينة العلم أبيها رسول الله ﷺ وباب مدينة العلم نفسها بعلها المنصوص عليه بوصي الرسول وخليفته الإلهيّ الإمام عليّ عليه السلام، لذلك فعلوا قوم حزب الشيطان ما فعلوا في ظلم أهل البيت ﷺ عامة، وفي ظلامة السَّيّدة الزهراء ﷺ بخاصّة **ثالثاً**. حتّى أنّها ﷺ أكّدتها في موضع آخر من خطبتها العظيمة بخطاب قولها: **((وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أ رَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟، ﴿بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً﴾ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾))** نلحظها ﷺ قد اردفت مفردة الفعل **(تَرَكْتُمْ)** والأخرى **(نَبَذْتُمُوهُ)** في خطاب قولها السابق لهذا بمفردة جديدة أَلَا وهي **(خَلَّفْتُمُوهُ)** التي منحت قوة تعبيرية لمعنى ملامح الخصم الظالم، الحاكم بغير كتاب الله القرآن الحكيم، والمتّبع غير الإسلام.

من هنا كان عرض شكواها على بعلها أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام، قائلةً له ومشيرةً إلى ظالمها رئيس الحزب / المركز: **((هذا ابْنُ أبي قُحافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أبي وَبُلْغَةَ ابْنَي))** نلحظ أنّ السَّيّدة الزهراء ﷺ وظّفت الفعل المضارع الدال على الاستمرار والتّجدّد أَلَا هو **(يَبْتَزُّنِي)** إذْ يستوعب دلالات الظلم العظيم كلّها الواقع عليها من ابن أبي قحافة من منع وسلب وسرقة وإيذاء وعناد[٢٣]، من هنا نجدها تلته بصيغة التصغير لمفردة **(نُحَيْلَة)** لتعطي في أثنائها دلالة تعضيدية على تعظيم فعله الشنيع بحقّها وبحق أبنائها، فألحقتها بتعبيرها المعلوم **(بُلْغَةَ ابْنَي)** لتعطي دلالة تأكيدية على علم الظالم أنّ أبناءها هم الورثة الشرعيين من رسول الله محمّد ﷺ لكونه جدّهم النّسبي عَبْر رحمها الطاهر المُطهّر ﷺ.

ثُمّ تلتفت بخطابها إلى **(نَقِيْبَة القَوْم)** الحاضرين الميّالين إلى مناصرة رئيس الظلم / المركز وحزبه الشيطانيّ: **((يا مَعاشِرَ النَّقِيْبَة، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟! وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟!))**، إذْ خصّت السَّيّدة الزهراء ﷺ **(مَعاشِرَ النَّقِيْبَة)** بخطابها لعلمها أنّها في عنفوان طاقتهم العمرية، وطاقتهم العقلية، فلا يكون التغيير والإصلاح الإلهيّان في أهل المِلة ومجتمع الإسلام إلّا بهم، ولانفتاحهم على مغريات الحياة وزخرفها وزبرجها، والخصم الظالم أغراهم بأمانيه الزائفة الباطلة عن جادة الحق، من هنا نرى أنّها شكّلت تعبير خطابها بأسلوب النّداء الاسترجاعي لأنفسهم حمله استفهام التوبيخ وإنكار موقفهم المتعاطف مع الخصم الظالم نفسه **(ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟! وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟!)**. فأرادت ﷺ من ورائه القول لهم إنّ الله تعالى خلقكم وجعلكم **(النَّقِيْبَة)** لتكونوا **(أَعْضادَ الْمِلَّةِ)**، و**(أَنْصارَ الْإِسْلامِ)**، لا لأجل أنّ تحاربوا حقّ الله مِلته وإسلامه وأهله، فشجبت فعلهم في حقّها وظلامتها بمفردتين متبادلتين دلاليّاً تعرّيهم وتكشف تمثل صورتهم الخفية للتأريخ وعصوره كلّها، هما؛ **الأولى:(الْغَمِيزَةُ)**: وتكوين حركة وجودها من جزئية مجاورة جفن العين بملازمة تقلّب الطرف ونابعة منها والإنسان بإرادته ووعيه يفعلها، وهي تدل على إرادتهم في الوقوف مع الخصم الظالم في منع حقّها؛ و**الثانية:( السِّنَةُ)**: وتتحقق إماءات علامتها على العين وجفنها ولونها بفعل مؤثّر خارج سيطرتها، وهذا يدل على أنّهم بسبب غميزتهم بحقّها ﷺ وقعوا تحت سيطرة الخصم الظالم فتأثروا به فأصابتهم **(السِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي)** ولم يبالوا في الدفاع عنها وعن حقّها من إرث أبيها رسول الله ﷺ، ولقد قصدت السَّيّدة الزهراء ﷺ توظيف المفردتين من لغة الجسد،

لأنّهما تجسدان قوة معنى تعبيرها في ملامح هذا الآخر، وسلوكه في التعامل معها ومع الحدث في التواطؤ للخصم الظالم بمقتضى حال المناسبة أيضاً. وفي الوقت نفسه تكشف حقيقة القوم الشيطانية من حيث إنّ **(الْغَمِيزَةَ)**، و**(السِّنَةَ)** سيمياء واضحة من علامات أولياء الشيطان والضعف أمامه والطاعة والتسليم في اتباع خطوات خططه الباطلة.

ومِنْ ثَمَّ تتوجّه بخطابها التعريفيّ إلى **(بَنِي قَيْلَةَ)** بأسلوب التقريع والتوبيخ وبنداء الهجاء المتعارف في أساليب العرب في زمن الخطبة ومناسبتها، لتقاعسهم وقعودهم عن نصرة الحقّ وأهله، فتقول لهم: **((أَيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أ أُهْضَمُ تُراثَ أَبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الأُمَمَ، وَكافَحْتُمُ الْبُهَمَ))**. بهذا البيان الجليّ الذي حمله خطاب السَّيّدة الزهراء ﷺ، يثبت أنّ **(بَنِي قَيْلَةَ)** سقطوا في حبائل الشيطان وتلبسوه ودخلوا في حزبه، لانهزامهم من نصرة الحقّ وأهله المتمثل بسيّدة النساء فاطمة الزهراء ﷺ في زمن إلقاء خطبتها العصماء، وموقفهم الانهزامي هذا أدّى إلى محو تأريخهم المجيد وذهابه –الذي عرّفتهم به السَّيّدة الزهراء ﷺ في خطابها الآنف لهم–، فرسبوا بالامتحان الإلهيّ لهم في نصرة حقّ الله وأهله، كما وقع شخوص الصّنف الثاني من هذا الآخر في شباك حزب الشيطان وأوليائه، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[٢٤]، وبحسب دلالة سياق تعبير الآية القرآنيّة، وما جسّدته السَّيّدة الزهراء ﷺ في نصّ خطابها بحقّ شخوص هذا الآخر الشيطانيّ من الصنف الثاني، يكون تأكيد التأكيد أنّهم لم يكونوا مؤمنين.

وبعد هذا التفصيل التصويريّ الدقيق لكلّ شريحة من شرائح شخوص هذا الآخر، تصل السَّيّدة الزهراء ﷺ إلى إعطاء صورة متكاملة الزوايا للتأريخ الإنسانيّ كلّه، تضمّ الملامح العامّة المشتركة بين شخوص حزب هذا الآخر، إذْ هم متوافقون عليها في سكناتهم وحركاتهم كلّها، حتّى أصبحوا كالخاتم في إصبع الشيطان وأداته لتسافلهم الروحي والقلبي والنّفسي والفكريّ بدءاً من زمن نبوة أبيها رسول الله ﷺ وبعدها في زمن إمامة بعلها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وصولاً إلى زمن حجّتها عليهم ﷺ، فتبدأ قائلة لهم: **((فَلَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلينَ))**، ومِنْ ثَمّ تصوّر درك تسافلهم مع الشيطان وحزبه، وعمق علاقتهم التفاعلية التجاوبية المتبادلة بعضهم بالآخر، فتقول: **((فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فيهِ مُلاحِظينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، اِبْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ ﴾))**.

نجد السَّيّدة الزهراء ﷺ متتبعة بدقة عالية رسم ملامح أفعالهم وسلوكهم، وتبعات الأحداث التي ارتكبوها، إذْ تقول: **((سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما اُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ! أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَاُضيعَ الْحَريمُ، وَاُزيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ –جَلَّ ثَناؤُهُ– فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبِحِكُمْ**

**هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: ﴿ وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انقلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ ﴾))**، ثمّ تشخّص عيشهم والأمن والأمان والرفاه الذي صنعوه لحزبهم الشيطاني خلاف ما كانوا عليه من موقف سلبي مشؤوم في زمن احتياج رسول الله محمّد ﷺ إلى الرجال لقتال أعداء الإسلام، في قبال حربهم على آل بيت رسول الله محمّد ﷺ بعد استشهاده، فتكشف حقيقة حسيكة النفاق فيهم بكونهم هم العدو نفسه في أيام رسول الله ﷺ وحتى يومها الذي خرجت فيه واجدة على رئيس الحزب الظالم / المركز وحزبه أولياء الشيطان، وتخاطبهم بقولها: **((وَأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ))**، فعطفت على قولها هذا خطابها الذي اكتنز بتكثيف معاني ملامحهم فجمع تفصيلات غرض الخطبة في معظمه من نصرتهم للباطل وموقفهم المعادي للحقّ وأهله، إذْ قالت: **((ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَاطْفاءِ أَنْوارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَاهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْواً فِي ارْتِغاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالْضَّراءِ))**، حتى أنّها تنكر اجتماع حزبهم لنصرة باطل الشيطان فسوّلت لهم أنفسهم فعل المحرمات، وعَبْر خطاب حِجاج استفهامها التوبيخي الإنكاري على مواقفهم وسلوكياتهم كلّها التي سكبتها في رسم ملامحهم تجسّدت بها صورتهم الجليّة، فتقول: **((أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اْغتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: ﴿يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ﴾ ،﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانَ داوُدَ﴾ فَبَيَّنَ عَزَّ وَجَلَّ فيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرائِضِ وَالمِيراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلِينَ، وأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ في الغابِرِينَ، كَلاّ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُم أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفونَ﴾))**.

وفي النتيجة بيّنتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ لأصحاب هذا الصّنف الثاني المتمثّل بحزب الشيطان كما كشفتهم هي ﷺ بنفسها في رسم ملامحهم كلّها أنّهم في دائرة القوم الذين حاربوا وعاندوا وعصوا الله ﷻ ورسوله ﷺ، في خلال قولها: **((وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ))**، أي: إنّ القوم أبناء القوم في أفعال الخبيثة وحربهم على الثقلين معاً حتى يوم الوقت المعلوم.

قصدتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ المنهج القرآنيّ من وراء ذكرها الآخر في قبال ذكر الآخر الحقّ (الأنبياء والرسل وأوصيائهم)، وكذا الآخر عدو الله وعدوهم الذين هم كفرعون الذي طغى وفعل ما فعل مع أهل الله في زمانهم لتثبيت الحقوق وحفظها، وتوثيق الحقائق وصونها من الزيف والتحريف، من هنا يتبيّن أنّ رسم السَّيّدة الزهراء ﷺ لملامح الآخر الإلهيّ الرحماني تأكيد حقّه وحقوقه وحفظها التي نصّت عليها النّصوص الإلهية المخصوصة به، وكذا الآخر الخصم الظالم من حزب الشيطان لأهل الله النجباء ﷺ المتعدي الحدود الإلهية، إذْ سلبهم حقّهم وحقوقهم. لذلك فهي ذكرت الصنفين معاً، وأعطت لكلّ واحدٍ منهما ملامحه الدقيقة به والمتجسّدة فيه أيضاً، فالسَّيّدة الزهراء ﷺ لم تذكر أحدهما وتترك الآخر، والسّر من وراء هذا لكي لا يختلط الأمر على الناس، وتضيع الحقوق والحقائق، وبعدها يأتي التأريخ الذي هو عبدٌ لأموال الظالمين المُبطلين الفاسدين الشياطين، وسياستهم القمعية المنحرفة الفاسدة الناتجة منهم، ويجعلهم أهل الحق

الشرعيّين، ويُسْتَبْعَد أهل الحقّ الإلهيّ، وفي ضوء هذه التداعيات حوى خطابها الحجاجيّ الآخر بملامحه وتفصيلات صورته الموصوفة بدقةٍ فائقة.

**(٣-٤): التَّلقي للقرآن بينَ الامْتِثَال والاستِدْلَال:**

**أ- الامتثال القرآنيّ:**

**١- افتتاح الخطاب واستهلاله (كلمة الديباجة):**

**(الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ)**، افتتحت السَّيّدة الزهراء ﷺ خطبتها المتمثلة بمفتاح ديباجتها القرآنيّ وهو (الحَمْد) المتناسب دلالياً والمتراتب سياقياً مع مفردة (أَنْعَم) -لقد مرّ الحديث في الموضوعة الآنفة-، لأنّها قصدت البدء بالذي يختصّ (اللهُ) به وحده ألا إنّه (الحَمْد) بكونه المنعم على النّاس كافة كلّ شيء يعلمون به، أو لا يعلمون، يشعرون به حسيّاً أو لا يشعرون على النّحو العامّ، أمّا على النحو الخاصّ فإنّ أرادت العموم والشمول لكلّ شيء عامّ وخاصّ؛ **(مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها)**، التي يعجز الإنسان على أن يحصيها ويعدّها؛ لأنّها **(جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها)**، لماذا ؟ لأنّها تقصد التفات المتلقي إلى أنّ هذه **(النِّعم)** و**(الآلاء)** و**(المِنَن)** ما كان اللهُ منعماً بها على الخلائق جميعاً لولا وجود أعظم (النِّعم) و(الآلاء) و(المِنَن) وأكبرها ألا إنّه (الصّراط المُستقيم) المتجسّد بشخص خاتم الأنبياء والمرسلين أبيها العظيم محمّد ﷺ ومصداقه نفسه منه المتمثّل بابن عمّها الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ الوصي صاحب البيعة بعد رسول الله ﷺ الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿ **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾ [٢٥]. من هنا يبدو جليّاً امتثالها القرآنيّ بـ**(سورةِ فاتحة الحَمْد / أمّ القرآن)** التي يفتتحها بقوله الكريم المجيد العظيم: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ¤ (الْحَمْدُ) لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ¤ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ¤ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ¤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ¤ اهْدِنَا (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ¤ صِرَاطَ الَّذِينَ (أَنْعَمْتَ) عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾[٢٦].

**٢- تَوْظِيف المُفْردات القرآنيّة في سِيَاقِها الحِجاجيّ:**

نقصد بتوظيف المفردات هي التي تكون مفتاح الموضوع أو إحدى لبناته الأساس، ووجودها في بناء النّص يسوقه إلى معاني الغرض الرئيس ودلالاته، كما وقعت عليها قصدية المنشئ واختاره وانتقاؤه، والسَّيّدة الزهراء ﷺ تنهل في توظيف مفردات خطبتها من لغة القرآن الكريم وبلاغته، ولا عجب فهي ترجمانه وعِدْله بكونها الأُمّ الكبرى لأساس الثّقلين وأصلهما اللذين تركهما لنا رسول اللهُ ﷺ لنتبعهما، إذْ عاهدنا ووعدنا أنّهما لن يفترقا أبداً في كلّ شيء حتى يردا عليه الحوض، لذا فتوظيفها المفردات القرآنيّة تأكيد الملازمة المعهودة الموعودة بحكم أنّها بحسب هذا الخصوص القرآن الناطق المعصوم، وعالمة بخصوص هذا القرآن المعصوم المرسوم وعمومه، والمعصومُ لا يأخذ إلّا من المعصوم، ولا وجود لمخلوق من مخلوقي البشر أعلم بالقرآن من السَّيّدة الزهراء ﷺ بعد أبيها رسول الله محمّد ﷺ أفصح العرب، وبعلها الإمام عليّ ﷺ سيّد البلغاء، لذلك لو كان هناك كتابٌ وقرآن أفصح وأبلغ من القرآن العظيم، لجعلته السَّيّدة الزهراء ﷺ مرجعاً لها تسترد معانيها وتوظّف مفردات نصّ خطبتها منه.

ينقسم توظيف مفردات خطبتها إلى **استعمالين: المُباشر وغَيْر المُباشر**، بحسب مقتضى حال مناسبة خطابها الحِجاجيّ. **فالتوظيف المباشر** هو استعمال المفردات التي وظّفتها بدلالتها في سياقها القرآنيّ مباشرة وتوجيهها الموضوعي، ومن نماذجه قولها ﷺ؛ ((**الْحَمْدُ** للهِ عَلى ما **أَنْعَمَ**))، قصدت السَّيّدة الزهراء ﷺ دلالات مفردة **(الْحَمْدُ للهِ)** الواردة في سياقها القرآنيّ **(٢١ مرّة)**[٢٧]، ومصداقها الأمثل؛ **(أمّ الكتاب/ سورة الحَمْد)** فاتحة القرآن الكريم التي تستهل بالحمد لله ﷻ، كما أنّها في تركيب جملة الحمد نفسها وظّفت مفردة أخرى هي **(أَنْعَمَ)**، ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾، وكذا أرادت من وراء توظيفها القرآنيّ تعزيز قوة ارتباطها الحقّ الصّادق بحمد الله ﷻ وتسليمها المطلق له تعالى، وبدلالات الإنعام من الله الذي **(أَنْعَمَ)** حيث أوردها القرآن العظيم في سياق آيات سّوره الكريمات (٥ / خمس مرّات)[٢٨]، وأنموذجها القرآنيّ المعضّد لها قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۞ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ۞ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا** ﴾[٢٩]. **(جَمَّ** عَنِ الإحْصاءِ **عدَدُها)**، **(نأى** عَنِ **الْجَزاءِ أَمَدُها)**، **(تَفاوَتَ** عَنِ الإدْراكِ **أَبَدُها)**، (وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها **بالشُّكْرِ** لِاتِّصالِها)، وكذا قصدت بتوظيفها **(بالشُّكْرِ)** ما هو واقع في مقصد دلالة السياق القرآني، في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾[٣٠]. و(ضَمَّنَ **الْقُلُوبَ** مَوْصُولَها)، فموصول ذكر الحمد لله ﷻ أساس طمأنينة القلوب، وشرط لموصول الآلاء والنعم على العبد، لقوله ﷻ: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[٣١]. و(الْمُمْتَنِعُ مِنَ **الأَبْصارِ** رُؤْيَتُهُ)، وظفّتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ مفردة **(الأَبْصار)** كما هي في دلالة سياقها القرآنيّ، إذْ قال تعالى: ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[٣٢]، ومن نماذج توظيفها المباشر للمفردة ودلالتها أيضاً، قولها في معرض الصلاة على أبيها الرَّسول العظيم وسلامها عليه ﷺ أمام القوم الموجّه خطابها إليهم، هو: (صلّى اللهُ على أبي **نَبِيِّهِ** و**أَمِيْنِهِ** عَلى **الوَحْي**، وَ**صَفِيِّهِ** وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَ**رَضِيِّهِ**، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ)، نلحظ السَّيّدة الزهراء ﷺ مُوظّفة مفردات قاصدتها بخصوص الخصوص في تركيب خطابها الحِجاجيّ، هي: **(نَبِيِّه)**، و**(أَمِيْنِه)**، و**(الوَحْي)**، و**(صَفِيِّه)**، **(رَضِيِّه)**، أرادت بمفردة **(نَبِيِّه)** في أثناء صلاتها وسلامها صّلاة الله تعالى وملائكته وأمره بهما في قرآنه المجيد، من حيث إنّها في سياق خطبتها كلّها نلحظها موظفةً مفردة (أبي رسول الله)، و(أبي الرسول)، إلّا أنّها في موضوعة الصّلاة والسّلام استعملت مفردة **(نَبِيِّه)**، وجعلتها مقترنة بالضمير المتصل العائد إلى الله تعالى، لتقدّمه مرتبة بالذكر عليه المجاور بفاعليته الصّلاة للفعل الذي ابنته السَّيّدة الزهراء ﷺ للمعلوم، إشارة منها إلى مقام أبيها **(النّبي)** المبارك وقربه عند الله ﷻ ومنه، المخصوص بقوله الكريم: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۞ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۞ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾[٣٣]، وصلّى اللهُ عليه وملائكته، وأمر المؤمنين بالصَّلاة والتسليم المطلق له، إذْ قال في محكم كتابه الحكيم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٣٤]. لذلك تلتها مباشرة بمفردتي **(أَمِيْنِه)**، و**(الوَحْي)**، تأكيد منها

للمقام العظيم نفسه لأبيها عند الله تعالى أيضاً، والسبب في قصدها توظيف هذه المفردات القرآنيّة في خطاب احتجاجها على الآخر وقومه الذين معه، لأنّ هذا الآخر ومن معه المقصود بخطبتها هو نفسه، في آخر ساعة حياة أبيها النّبي ﷺ قُبيل استشهاده، قال في ذلك الموقف: (( إنّ النّبي يهجر ))[٣٥]، عندما أمر من كان حاضراً بدوات وقلم ليكتب ما أوحى اللهُ به، ولقد بلّغ البقيّة وشخّص الوصي والخليفة من بعده، على الرغم من عناد المعاندين، فقال: **((وإِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمُ الثَّقْلَيْنِ؛ أَحَدهُمَا أَكْبَر مِنَ الآخَرِ، كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَن يَّفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ ))**[٣٦]، فبيّنت ﷺ لهذا الآخر وقومه عَبْر توظيفها دلالة المفردة القرآنيّة النازل في حكم أمانته على وحي الله، ولا ينطق إلّا بما يأتي الوحي به. ومِنْ ثَمَّ تعزّز سياق هذا المطلب بتوظيف مفردتين قرآنيّتين يحملان تأكيد الوظيفة الدلالية المندوبة، هما: و**(صَفِيِّه)**، و**(رَضِيِّه)**، فـ**(الصَفِيّ)** هو خالص كلّ شيء باصطفاء واختيار ومنه لقّب أبونا آدم بصفيّ الله وكذا سائر الأنبياء والرّسل، وحتى الخاتم نبيّنا الرسول العظيم محمّد ﷺ، أي: خالصه ومختاره، وقيل: صَفْوَةُ كُلِّ شيءٍ خالِصُهُ[٣٧]، إلّا أنّ نبيّنا محمّد ﷺ انماز عن سائر ممن اصطفاهم بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾[٣٨]. ولقد ورد معنى الاصطفاء بدلالته التي قصدتها السَّيّدة الزهراء ﷺ واستعملتها بسياقها في التعبير القرآنيّ (٧/ سبع مرّات)[٣٩]. وكذا دلالة مفردة **(رَضِيِّه)** واتصالها بالضمير العائد إلى الله ﷻ المؤكد مقام أبيها من الذّات المقدّسة، كما تجسّد هذا المعنى العظيم في آيات سورة النّجم آنفة الذكر، إذْ عضّدتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ بها حُجّتها على الآخر وقومه أيضاً، في ضوء توظيفها بدلالتها القرآنيّة التي تثبت أنّ أباها النّبي ﷺ رضيُّ الله العظيم ومن لم يرضَ أبوها عنه ؟ لن يرضى اللهُ عنه أبداً !، بتعبير آخر تريد أن تقول لخصمها الظَّالم وقومه؛ إنّ أباها النّبي محمّداً ﷺ رضا الله في رضاه!، وكيف بك وبقومك ولقد آذيتموه في حياته وعند ساعة استشهاده وبعده بابنته ومنعتم إرثها منه وغصبتم حقوقها؟!، فكان عدد ورودها باشتقاقها ودلالة سياقها القرآنيّ (١٦/ست عشرة مرّة)[٤٠]، وأنموذجها ثلاث آيات مخصوصات بالرّسول النّبي محمّد ﷺ، الأولى؛ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[٤١]. والثانية في الطاعة بمبايعة النّبي ﷺ؛ قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾[٤٢]. والثالثة التي تخصّ الآخر وقومه الذين حكموا بغير حكم الله واتبعوا ما أسخطه وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم كلّها حتى قيام يوم الدِّين؛ قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[٤٣]، من هنا كانت قصدية السَّيّدة الزهراء ﷺ في توظيفها المباشر لدلالة المفردة القرآنيّة. ومن النماذج كذلك، قولها ﷺ: **(وَبَقِيَّةٌ** استَخْلَفَها)، الذي ساقته لتدعم به حجّتها على الآخر وقومه أنفسهم، إذْ استعملت المفردة القرآنيّة **(بَقِيَّة)** بدلالتها القرآنية الصّريحة لتشير للآخر إلى مورد خصوص الاستخلاف والخلافة للثقلين معاً؛ الثّقل الأوّل: كتاب الله الناطق والقرآن الصّادق الذي أمر الأمّة باتباعه وتطبيق أحكامه، والثّقل الثاني: عترة أهل بيت النّبوة ﷺ الذين أمر اللهُ تعالى باتباعهم وطاعتهم لأنّهم ترجمان القرآن وعلماؤه، ولقد وردت مفردة **(بَقِيَّة)** (٣/ ثلاث مرّات)، عند قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[٤٤]، وقوله تعالى: ﴿

**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾**[٤٥]، وقوله تعالى: **﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾**[٤٦].

أمّا **التّوظيف غير المباشر**، فهو استعمال المفردة القرآنيّة في غير دلالتها في سياقها القرآنيّ، ولكنّها تحيل المتلقّي ولاسيما (الآخر المُخاطَب مُسبِّب مناسبة الخطبة) إلى دلالة عرف التّوظيف القرآنيّ لها، هي الأصل المقصود من السَّيّدة الزهراء ﷺ لمعنى متبادل في سياق تقابليّ، يكون أقوى من دلالة المفردة الموظّفة في نصّ خطاب خطبتها ﷺ، من نماذجه، قولها: ((وَسُبُوغ **آلاءٍ** أسْداها))، جاء توظيف مفردة (**آلاءٍ**) القرآنيّة في الخطبة بدلالة سياق الحمد لله ﷻ على نِعَمه وآلائه، وفي السياق نفسه أرادت إيصال إشارة إلى الآخر المتلقّي أصل المعنى الحقيقي المخصوص بالخطاب هو نفسه، إذْ إنّ مفردة (**آلاء**) وردت في دلالة سياقها القرآني بأمر القوم الجاحدين والمتجاهلين (**آلاء الله**) عليهم بذكرها في آيتين كريمتين، هما؛ **الأولى:** استفهامية بذكر أمريّ، قوله تعالى: **﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾**[٤٧]، و**الثانية:** بذكر أمريّ، قوله تعالى: **﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾**[٤٨]. وكذا بدلالة ورودها القرآنيّ في استفهام التوبيخ لمعشر الجنّ والإنس اللذين يكذّبان بـ(**آلاءِ ربِّهِمَا**) عند قوله الكريم: **﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾**[٤٩]، وكذلك الذي يجادل ويتمارى بـ(**آلاءِ رَبِّهِ**) في قوله ﷻ: **﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴾**[٥٠]، فالسَّيّدة الزهراء ﷺ في سياق حمدها لله ﷻ أعطتِ الآخر الخصم المخاطَب ومَن معه من قومه إشارة صريحة أنّهم معنيون بدلالة (**الآلاء**) في سياق خطاب الله ﷻ للقوم المكذّبين المجادلين الجَّاحدين المفسدين الظَّالمين لـ(**آلاء الله**)، وداخلين مشمولين في دائرة أعمالهم وأفعالهم السيئة التي وبّخهم اللهُ عليها.

ومن نماذجه أيضاً، قولها ﷺ: ((أَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَلَبَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ **مَكْنُونَةٌ**، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ))، في نصّ شهادتها بمقام أبيها الرّسول الأعظم ﷺ وظّفت ﷺ مفردة (**مَكْنُونَةٌ**) بصيغة التأنيث المتطابقة مع جمع (**الْخَلائِق**)، أي: الخلائق قبل خلقها في علم الله مكنونة وقبل أيّ عالم من عوالم بدء الخلق، ومقام أبيها النّبي العظيم محمّد ﷺ عند الله تعالى ﷻ (**مَقَامٌ مَكْنُون**) هو: (**عَبْدُ الله ورَسَوْلُهُ ومُخْتَارُهُ ومُنْتَجَبُهُ وسَمِيُّهُ ومُصْطَفَاهُ وصَفِيُّهُ**)، إحالة دلالية منها ﷺ إلى أنّ أباها الرسول الأعظم ﷺ هو ذلك النّقل العِدْل الطاهر المطهر لكتاب الله الثقل الكريم المكنون الذي خصّه الله ﷻ بقوله المبارك: **﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۞ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۞ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۞ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾**[٥١].

ومن النَّماذج الأُخَر، قولها ﷺ: ((أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ **شَطَطاً**))، مناسبة ندائها تذكير النّاس الحاضرين جميعهم بما فيهم الآخر الخصم رأس الفتنة المخصوص بخطابها أصلاً وتُعْلِمُهم أنّها (**فاطمة**) هي نفسها (**فاطمة بنت محمّد** ﷺ) النّبي الذي أمر اللهُ ﷻ بالصَّلاة عليه وآله معه وهي (**فاطمة**) من آله ﷺ، الذين حصر اللهُ إرادته فيهم بالتَّطهير، فقال: **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾**[٥٢]، لذلك قالت ﷺ: ( وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ **شَطَطاً** )، إذْ

نجدها وظّفتِ المفردة القرآنيّة **(شَطَطاً)** في نفي **(فعل الشَّطط)** عنها ﷺ، في حين دلالتها في سياق القرآنيّ في مورد **(قول الشَّطط)**، عند قوله ﷻ بحقّ فتية أهل الكهف الذين حوربوا من قومهم بسبب إيمانهم بالله تعالى ولم يعبدوا ولم يطيعوا أحداً من دونه ولم يقولوا بألوهية بأحدٍ غيره ولن يدعوا من دونه إلهاً، لأنّهم لا يقولون الشَّطط على الله ﷻ أبداً، فربط الله على قلوبهم وحفظهم إلى يوم الوقت المعلوم: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ﴾[٥٣]، وقوله تبارك وتعالى في السَّفيه الذي كان يقول؛ إنَّ لله صاحبةً وولداً أيضاً، فجاء اعتراف قومه بقوله الشّطط: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** ﴾[٥٤]. من هنا يتجلّى سرّ توظيف السَّيّدة الزهراء المفردة **(شَطَطًا)** في نفي فعل الشّطط عنها، لأنّها أرادت تحقيق أكثر من معنى، **الأوّل**: أرادت أن تبيّن للنّاس وللتأريخ أنّها من ﴿ **بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴾[٥٥]، فمقامها أعلى شأنها عند الله تعالى من فعل **(الشَّطط)**، وليس نفي القول عنها فحسب. و**الثّاني**: أنّها أرادت كشف حقيقة الآخر الخصم بالإشارة إلى أصل استعمال المفردة القرآنيّ بقول الخصم الظالم **(الشَّطط)**، عندما قال وحَكَمَ بغير حكم الله ﷻ في كتابه النَّاطق وقرآنه الصّادق في سلبه خلافة إمام عصره أمير المؤمنين عليّ ﷺ وتقمصها، بقوله: ((الأمر شورى))، وكذا منعها إرثها من أبيها النَّبي محمّد ﷺ وحقوقها الشَّرعية، بقوله: ((الأنبياء لا يورّثون))، ومن قبلُ هو نفسه قد هتك حرمة خاتم الأنبياء والرّسل وتعدّى على مقامه العظيم، بقوله: ((إنّه يهجر)). و**الثالث**: تثبيت حقائق أحداث الفتنة التي افتعلها الخصم الظَّالم بهتاناً وزوراً بحقّ أهل الله تعالى محمّد وآل محمّد ﷺ. و**الرابع**: تأكيدها أنّ الآخر الخصم الظّالم، هو المصداق الأمثل في شموله ومن معه في دائرة مصاديق دلالة السياق القرآنيّ بقول **(الشَّطط)** وفعله.

ومن النّماذج كذلك، قولها ﷺ: ((مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ **وَالسِّنَةُ** عَنْ ظُلَامَتِي؟))، وظّفتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ مفردة **(السِّنَة)** في سياق خطاب استفهامها التقريعي من القوم عن **(ظُلَامَتِهَا)**، بما أصابهم من نوم وثقل وضعف واستسلام لظلم الخصم الظالم بحقها، كثقل الذي أخذه نعاس النوم وأفقده قوته، لذلك قصدت في سرّ توظيفها العميق الإشارة إلى حقيقة ورودها في السّياق القرآني، لتقول لهم: إن أردتهم **(السِّنَة عَنْ ظُلَامَتِي؟)**، فإنّ لي الله ربّي يأخذ حقّي من الخصم الظَّالم، لأنّه ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ (سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾[٥٦]، ولقد وظّف القرآن الحكيم مفردة **(سِنَة)** مرّة واحدة في بيان تخصيص مورد الألوهية والوحدانية **(لله)** ﷻ.

### ٣- تشخيصها القرآنيّ لعلاقة الآخر بالشَّيطان:

إنّ من لزوميات النّص الأدبيّ بعامّة، والخطاب الحِجاجيّ بخاصّة، في كشف أسرار تكامل تكوين بنيته بجنبتيها السطحية والعميقة، وإبلاغ رسالته للمتلقّي بأكمل وجه، هي: نضج لغة أسلوبه، وحذاقة التصوير وكماله، وتناسب تشكيل تركيبه مع المناسبة والغرض، وكذا تجاوب مفرداته مع مقتضى حال المنشئ والظروف والأحداث المحيطة به، ودقّة تشخيص الآخر (سبب النّص ومُسبب مناسبته)، سواء أكان عاقلاً فيشخّص علاقته بغير العاقل المرئي واللامرئي على نحو الفرد الواحد أم على نحو الجماعة الأفراد، أو كان غير العاقل فيشخّص وجوده بالعاقل على نحو وحدة الوجود بينهما

في مكان ما أو على نحو تمثّل رؤية المنشئ فيراه عاقلاً!، هذا على معيار خلق العوالم المتخيّلة المتوهّمة في النّص الإبداعيّ بعمومه، أمّا في النّص الاستثنائي المعصوم القرآن الكريم والأنبياء والأئمة فالتشخيص فيه يكشف حقيقة انعكاس رؤية المعصوم في اللامرئي المخفي المخبوء عند الآخر مُسبب مناسبة النّص وسببه مع المرئي الحامل لازدواجية حقيقة اللامرئي نفسه بسلوكه الذي خدع وزيف به سائر جمهور النّاس العوام. وهنا تتجلى أهمية الخطاب الحِجاجي الذي تُكشف فيه قيمة أفعال الذوات المتخاطبة ومكانتها، فضلاً عن مواضع تركيبه التي يحويها خطاب لغته الحِجاجية المُبيِّنة الكاشِفة[٥٧].

من هنا تُبان جمالية تشخيص السَّيّدة الزهراء ﷺ علاقة الآخر بالشيطان في خطبتها، إذْ إنّها شخّصها تبعاً لتشخيص القرآن العظيم لها، ومعيار انطباق ملامح علاقة الآخر بالشيطان مع التشخيص القرآنيّ لها جعله مصداقاً جليّاً من مصاديقها القرآنية التي شخّصها الله ﷻ فيه، لأنّه ﷻ ﴿ **نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[٥٨]، وإذا كان الإمام عليّ ﷺ هو القائل: ((**أَنَا عَيْنُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، أَنَا لِسَانُ اللهِ النَّاطِقُ فِي خَلْقِهِ، أَنَا نُوْرُ اللهِ الذِي لَا يُطْفَأُ، أَنَا بَابُ اللهِ الذِي يُؤْتَى مِنْهُ وحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ**))[٥٩]، فالسَّيّدة الزّهراء ﷺ هي (**عَيْنُ اللهِ فِي أَرْضِهِ .. نُوْرُهُ الذِي لَا يُطْفَأُ**)، لأنّها كفؤه (**نُوْرٌ عَلَى نُوْرٍ**) التي اختارها الله ﷻ له، وعالمة بخصوص القرآن وعمومه مثله، وسرّ تسميتها بـ(**الزَّهْراء**)، لأنّ الله ﷻ خلقها (**مِشْكَاةَ نُوْرِهِ وَمَثَلَهُ**)، وعليه فهي ﷺ ترى بـ(**نُوْرِ الله ﷻ**) في تعاملها مع الآخر وفي تشخيص علاقته ومَن معه بالشيطان الرّجيم، وكشف حقيقتهم المخبوءة بتصويرٍ متناهٍ وبصورة دقيقة جداً، يتبيّن عَبْرهما تتبع السَّيّدة الزهراء ﷺ لحركات أفعالهم، وخطوات أعمالهم أوّلاً بأوّل فلا تترك صغيرة ولا كبيرة فيهم إلّا وشخّصتها، وأعطتها ما تستحق من الكشف والتشخيص.

وأمثلة تشخيصها القوم، هي قولها ﷺ: ((فَلَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، **ظَهَرَ فيكُمْ حَسِيْكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين. فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشَيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكُمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ**)). تخاطب القوم الذين كانوا سبباً بالظّروف والأحداث التي أحاطت بالمجتمع الإسلامي حال استشهاد أبيها النَّبي العظيم محمّد ﷺ، وما آلت إليه من فسحهم المجال للشيطان وعلاقتهم به، وتبدأ بكشف (**حَسِيْكَة**) نفاقهم أي: عداوة النّفاق المضمر في صدورهم[٦٠] للرسول وأهل بيته ﷺ الذي ظهر بعد أن اختار الله لرسوله (**أبيها**) ﷺ دار أنبيائه ومأوى أصفيائه باستشهاده مسموماً، ومِنْ ثَمَّ تصوّر دورهم في خرق (**جِلبْاب الدِّينِ**) وتمزيقه وخلقه وأنّهم ألبسوه غير أهله الشرعيين، وبعده تعطي صورة واضحة لبداية دخولهم في دائرة الشيطان عندما أعانوا عدو الحقّ وأهله الذي هو (**كاظِمُ الْغاوِينِ**) أن نطق بغير آيات الله ﷻ إشارة منها ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۞ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ**

**فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾**[٦١]، لذلك تلته ذكراً بنبوغ **(خامِلِ الأَقَلِّينَ)** أي: الخفي الأذلّ من الأذلّين[٦٢] الذي لا شأن له ولا علم له بخصوص القرآن وعمومه نبغ بين القوم وأصبح يشرّع ويحكم بما لم ينزّل الله به سلطاناً، وألحقته بهدر **(فَنِيْقِ الْمُبْطِلِيْنَ)** والفَنِيقُ: هو الفَحلُ المُكرَّمُ مِنَ الإبِلِ الذي لا يُرْكَب ولا يُهانُ؛ لِكَرامَتِه على أهله، وكأنّها تريد بيان انحراف القيم والأخلاق الذي وصل الحال به إلى أنّ المبطلين نصبوا لهم خليفةً قائداً بالباطل وأصبح مكرّماً كالفحل المكرّم في أهله لا يركب ولا يهان[٦٣] من دون وجه حقّ، وبقي يهدر صوته بقول الباطل والزور والبهتان بعد أن كان ممسكاً ساكتاً، حتى أنّه **(خَطَرَ)** في عرصاتهم، لأنّهم رهنوها له، وجنّدوا أنفسهم لأجله، وراح يخطو خطاه عليها بزهو وعُجب وكبر!، فبعد تصويرها للظروف والأحداث والأحوال المصاحبة لاستشهاد **(أبيها)** رسول الله ﷺ، نلحظ جمالية إسنادها إلى أفعال ماضوية مبنية للمعلوم كلّها؛ **(ظَهَرَ – سَمَلَ – نَطَقَ – نَبَغَ – هَدَرَ – خَطَرَ)**، لكي ترسم وحدة اجتماعهم على الباطل في دائرة نفاقهم التي تجمع أفعال أعمالهم كلّها في صورة واحدة تشابهوا عليها بعد أن خطّط لها بادئ ذي بدء في حياة رسول الله ﷺ ونفذوها بعد استشهاده، فأرادت أن تفضحهم وتكشف خبثهم بأن تقول لهم : كلّ أفعال أعمالكم هي معلومة ظاهرة بحقيقتها عند الله تعالى وعندنا أهل البيت عن الله ﷻ حتى وإن أخفيتموها عن النّاس، لذلك أعقبته ببداية تشخيصها لعلاقتهم بالشيطان، فقالت ﷺ: **(وَأَطْلَعَ الشَيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكُمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ)**، فبعدما أسس القوم أساس الظّلم والجور على أهل الحقّ الإلهيّ ودفعوهم عن مقامهم وأزالوهم عن مراتبهم التي رتّبهم اللهُ فيها[٦٤]، ووصل الأمر إلى قتلهم، ومهّدوا للشيطان وأوليائه بالتّمكين من ظلمهم وقتالهم، كانت النتيجة في اللامرئي التي شخّصتها السَّيّدة الزهراء ﷺ، هي: **(أَطْلَعَ الشَيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ)**، فإنّها ﷺ لم تقل: (طلع الشيطان برأسه من مغرزه)، ولو قالتها لصحّت، ولكنّها قصدت بتعبير تشخيصها الفعل الماضي الرباعي المتعدي بالهمزة **(أَطْلَعَ)** من الثلاثي اللازم (طلع)، لأنّه تجاوب مع مقتضى حال التمكين والإعداد الذي هيَّأهُ القوم للشيطان فـ**(أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ)**، وهو تأكيد تشخيصها علاقتهم العميقة بالشيطان وإثبات حقيقته التي نزل القرآن العظيم بها قائلاً في وصف شجرة الزّقوم مُشبّهاً: **﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾**[٦٥]، فليس كلّ مخلوق لا يراه الإنسان العادي من النّاس ولا يدركه أو حتّى الذي عنده من العلم الوضعي المحدود بدلالةٍ على أنّه وهميٌّ ولا وجود له، كما هو مذهب المفسّرين القدماء أمثال؛ الزمخشريّ (ت ٥٢٨ هـ)، والرازيّ (ت ٦٠٤ هـ)، والسمين االحلبيّ (ت ٧٥٦ هـ)[٦٦]، واتبعهم المُحْدَثُون مختصو البلاغة في قولهم إنّ التشبيه برؤوس الشّياطين تشبيهٌ وهميّ وهو خلاف الحقيقة[٦٧]، التي بيّنها اللهُ في قرآنه العظيم، وأكّدتها السَّيّدة الزهراء ﷺ وكشفتها عند إثبات حقيقة علاقة القوم بتمثّل صورة الشَّيطان في أشكالهم الإنسية عَبْر وصف تصوير اللامرئي الذي تراه هي؛ لأنّها من أهلِ بيتٍ ﷺ شاء الله ﷻ بإرادته مخاطباً إيّاهم **﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾**[٦٨]، لذلك فلا حُجُب بينها وبين عوالم خلق الله ﷻ، إذْ عندها المرئيّ واللامرئيّ حقيقة وجودهما واحدة، ولا عجب فهي كفؤ الإمام عليّ ﷺ، القائل: ((لَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ مَا ازْدَدَتُ يَقِيْناً))[٦٩]، وعليه فتشخيصها لحقيقة الشّيطان هي نفسها التي خلقه اللهُ عليها، فنقلتها إلى التشخيص المرئيّ الذي يدركه المتلقّي فتحقّق تطابق الصّورة بين حقيقة القوم الباطنة والظاهرة التي فيها زيفهم وما يدّعون ويزعمون، حتى صاروا أداة وجنداً وجهازاً وهاتفه الذي يهتف به، ومصداقاً لقوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾**[٧٠]، لذلك قالت ﷺ: **(هاتفاً**

**بِكُمْ)**، وهم بهذا القرب منه يتجاوبون معه ولا يرفضون له أمراً ولا طلباً، من هنا جاء تشخيصها مخاطبة إيّاهم: **(فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ)**، وهنا نلحظ دقّة استعمال السَّيّدة الزهراء ﷺ للفعل **(أَلْفاكُمْ)** في تشخيصها، الذي يدل على الألفة والمؤالفة والائتلاف والتّآلف بين الشيطان والقوم المعنين بخطاب خطبتها، حتى أنّها ﷺ جعلت استجابتهم **(لِدَعْوَتِهِ)** وملاحظتهم **(لِلْغِرَّةِ)**، حالين؛ **(مُسْتَجيبينَ)**،**( مُلاحِظِينَ)** أي: إنّهم رهن إشارته مستعدون لأيّ دعوةٍ منه يستجيبون حالاً بحالٍ بلا تردد، ومترقّبون متابعون ملاحظون للغرّةِ أوّلاً بأول، فعمق ارتباط القوم والتصاق اتصالهم بالشيطان مثّلته كاف الخطاب الجمعيّ **(كُمْ)** الملتصقة بالفعل **(أَلْفاكُمْ)**، وكذا سائر تشخيصها في علاقتهم بالشيطان جسّدتها كاف الخطاب الجمعيّ نفسها المرتبطة بالأفعال وبالأسماء وبالحروف أيضاً، كما يوضحها المخطّط الآتي:

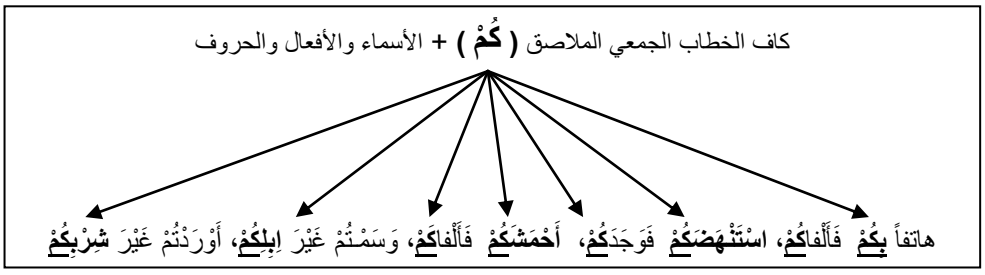


لذلك تلت ﷺ جملتها بقولها: **(ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ)**، أي: كلّما **(اسْتَنْهَضَهُمْ)** الشّيطان لأيّ الأمر ودعاهم إلى سرعة القيام به[٧١]، وجدهم مجهّزين مستعدين بأقدام خفاف طيعة يسرات في خطواته وتنفيذ أمره، وتستمر السَّيّدة الزهراء ﷺ في تشخيص عمق علاقتهم بالشيطان، قائلة لهم: **(وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً)**، وتقصد بـ**(أَحْمَشَكُمْ)**، أي: أغضبكم[٧٢] تشجيعاً وحماسةً لتنفيذ مخطّطات فتنه وخطواتها، **(فَأَلْفاكَمْ)**، أي: كما **(أَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ)**، كذلك **(أَلْفاكَمْ غِضاباً)** متحمسين مجتمعين أحدكم يشجع الآخر في نصرة **(الشَّيْطَانِ)** وأوليائه على محاربة الحقّ وأهله، لدلالته على المواصلة والمؤانسة والمقاربة[٧٣]، وبهذا اللحاظ كرّرت السَّيّدة الزهراء ﷺ **(أَلْفاكُمْ/** مرتين ٢**)** في تشخيصها، وهو يدل على الألفة الراسخة والائتلاف العميق وذوبان الانصهار المتماسك ببعضهما، فلا رجعة في فكّها بين قوم الخصم الظّالم والشيطان، ويشكّلهما الرّسم الآتي:

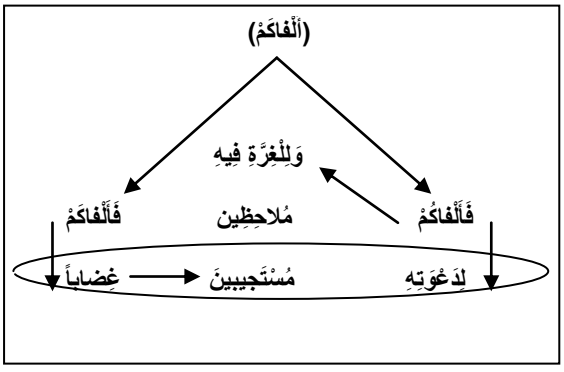

وعليه فالسَّيّدة الزهراء ﷺ أعطتهم التشخيص الدقيق للنتيجة التي وصلوا إليها أَلَا وهي قولها لهم: **(فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ)**، وفيه إشارة سيميائية على عرف البيئة السائد آنذاك من حيث إنّ مالك الإبل الشّرعي كان له وسم بنقشٍ خاصّ به يكون عن طريق الكواء يضعه على النار ليحمى جمراً ومِنْ ثَمَّ يوسم إبله وتطبع حرقاً علامة نقش وسمه عليها حفاظاً من السّرقة أو ألّا تختلط مع إبل مالك آخر، وكذا قولها ﷺ: **(وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ)**، فيه إشارة إلى ثقافة عصر مناسبة الخطبة وحدثها من أنّ الذي يستحوذ على بئر أو حوض ماء أو مكان ماء ليس له فهو يورد غير شربه، لذلك السَّيّدة الزهراء ﷺ كثّفت في تشخيصها مطلب قولها للنتيجة التي وصل القوم إليها بالإشارات إليهم، أي: إنّهم بعلاقتهم الراسخة العميقة بالشيطان أصبحوا أداةً ولعبةً وكرةً بيده وأقرب إليه من أوليائه أنفسهم، فاستحوذ عليهم فراحوا يأخذون حقّاً غير حقّهم، ويطعمون غير طعامهم، ويشربون غير شربهم.

ولها ﷺ موقف آخر تشخّص علاقة القوم بالشّيطان اللّعين بطابع الاستمرارية في التواصل والمواصلة والاتصال الذي ينتج عنه تقدّم العلاقة بينهما وتطوّرها وتزايدها عمقاً وتعمقاً وتواشجاً وتجاوباً في كلّ جزئية من جزئيات الزمن برهة ولحظة وساعة ويوم وهكذا بلا انقطاع فيها ترابطاً بمواعيد المكان وحيث ما كان هم موجودون مستجيبون له، وهذا التشخيص منها ﷺ هو ما حمله فعل المضارعة والاستمرار والتجدّد **(تَسْتَجِيبُونَ)** في قولها عند ردّها على مَن زعموا خوف الفتنة !، إذْ قالت: ((... ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾ ... ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا الاّ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، **وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ ...**))، وتبعاً لهذا التشخيص نفسه ساقت السَّيّدة الزهراء ﷺ في نصّ ردّها كلّه أفعالاً مضارعة تسند رؤية تشخيص علاقتهم بالشّيطان الغويّ وتعضّدها، وهي **(لَمْ تَلْبَثُوا + تَسْكُنَ + يَسْلَسَ + تُورُونَ + تُهَيِّجُونَ + تَسْتَجِيبُونَ)**، ومنه تكشف بتشخيصها ﷺ أنّ الفتن ليست وليدة زمن استشهاد أبيها رسول الله ﷺ، بل هي قديمة العهد منذ بداية دعوة الإسلام حال إعلانه بِقِدَم علاقة آباء القوم أنفسهم بالشيطان الغَويّ، إذْ كانوا ومن معهم في ظلمات الجهل والضلالة ومراتع الشياطين، وراح القوم يكيدون المكايد ويصطنعون الفتن، وجسّد هذا كلّه قولها الحِجاجيّ لهم، الذي تؤكّد فيه وتثبت **(أَنَّ الْقَوْمَ أَبْنَاءُ الْقَوْمِ)**، فقالت: ((فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، {كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ}، أَوْ **نَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ**، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها))، فجملة تشخيصها استمرار علاقتهم بالشيطان ﷺ: **(أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ)**، فالفعل **(نَجَمَ)** ماضٍ يدل على إمضاء رسوخ العلاقة منذ آبائهم وإلى أبنائهم، وهم بهذا الاتصال بالشيطان مصداق قوله تعالى: **﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾**[٧٤]، ولقد قالها الإمام عليٌّ ﷺ في قصيدته الزّينبيّة:

**واختَرْ قَرِيْنَكَ وَاصْطَفِيْهِ مُفَاخِراً  إنَّ القَرِيْنَ إلَى المُقَارَنِ يُنْسَبُ** [٧٥]

فتعبير السَّيّدة الزهراء ﷺ؛ **(قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ)**، ولم تقل: (قَرْنُ الشَّيْطَان)، لأنّ قرن الشيطان ثابت متحقّق لا خلاف في منظومة العلم الإلهيّ على وجوده اللامرئي المتجسّد في المرئي بأوليائه من الإنس، كما مثّل رسول الله محمّد ﷺ حقيقة هذا القرن عندما مرّ من بيت إحدى زوجاته، وقال: **((هُنَا الْفِتْنَةُ – ثَلَاثًا – مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ))**[٧٦]، إلّا أنّها

أرادت به نكتة بديعة وهي أنّ للشيطان الغويّ قرناً من الإنس مهمته محاربة الحق وأهله في كلّ زمن منذ أيام أبيها رسول الله ﷺ، وليس محصوراً بعصر زمن مناسبة خطبتها فحسب، وهذا القرن للشّيطان في البرهة نفسها يؤكّد سيطرة الشّيطان عليه وامتلاكه له، من حيث هو شرى نفسه وبدنه، بل ونذرهما للشّيطان. وكذا فيه إشارة على الاقتران المتماسك الشديد الذي لا انفصام له بينهما.

((فَإنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ صَلى الله عليه وآله. فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَ**خَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِيْنِ**، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ))، وهنا جملة تشخيصها لآباء القوم المخصوصين بخطابها الحِجاجيّ في معرض حديثها عن مواقف أسد الله الغالب وبطل الإسلام الخالد الإمام عليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام **(وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِيْنِ)**، وفيها إثبات المسخ المتحقق لهم في اللامرئي الذي تراه السَّيّدة الزهراء ﷺ، من حيثُ إنّ تشخيصها لعلاقتهم العميقة المتجذرة الراسخة بالشّيطان مَسَخَتْ كلّ واحد منهم شيطاناً إنسيّاً ناطقاً خطيباً بالكذب والباطل، وجميعهم أصبحوا خطباء ينطقون باسم الشّيطان الأب الكبير لهم، وهذا ما بيّنه تشخيصها نفسه الذي أخذ طابع المجاز المتمثّل واقعاً فيهم، إذ توظيفها مفردة **(شَقَاشِق)** بصيغة الجمع مضافة إلى مفردة صيغة جمع **(الشَّياطيْن)** أيضاً[٧٧]، ولم تقل؛ **(خَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيْطَانِ)** أي: إنّها ﷺ لم تضف مفردة **(شَقَاشِق)** إلى مفردة **(الشَّيْطَانِ)** بصيغته الإفرادية، ولو قالتها لصحّت، ولكنّها قصدتْ بتشخيصها وصف حقيقة مسخ القوم بفعل ما كانت عليها علاقتهم بالشَّيطان أبيهم الكبير وولدوا الأبناء، فكان ما كان من صبغتهم الشّيطانيّة وتحوّلهم ومسخهم الذي جسّدته جملتها الوحيدة في نصّ خطبتها كلّه بلفظ **(الشَّيَاطِيْن)** فكانت الجملة الإشاريّة التَّشخيصيّة المُكثَّفة إلى تشخيص القرآن العظيم لشياطين الجنّ والإنس معاً، إذْ كشف حقيقتهم في **(ثلاث عشرة / ١٣)**[٧٨] مرّة بلفظ **(الشَّيَاطِيْن)** تحديداً؛ وأُنموذجها قوله عزّ: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾[٧٩]، وكذا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾[٨٠]، وغيرهما من نماذج مصاديق حقيقة **(الشَّيَاطِيْن)** وملازماتهم ما ظهر منها وما بطن التي شخّصها اللهُ ﷻ في آي قرآنه الحكيم، ومنه نهلتْ، وعلى أساسه بَنَتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ تشخصيها في كشف حقيقة علاقة آباء القوم وأبنائهم بـ**(الشّيْطَان)** الغويّ اللعين الرّجيم، ومسخ صورهم الإنسيّة بـ**(الشَّيَاطِيْن)**، جمعتها بـ**(أربع مواقف / ٤)** تشخيصية لعلاقتهم به، **(ثلاثة / ٣)** منها بصيغة الإفراد **(الشَّيطان)**، و**(واحدة / ١)** يتيمة بصيغة الجمع **(الشَّيَاطِيْن)**، كما عالجها تحليل القراءة وكشفها تفصيليّاً.

**ب- استدلالها ﷺ بالنّص القرآنيّ وخصائصه:**

إنّ عصر إلقاء السَّيّدة الزهراء ﷺ خطبتها الفدكيّة أو زمانها لا يخفى عن الباحث المُتتبع، إذْ هو عصر انتشار الإسلام المحمّديّ واتساع ثقافة القرآن الكريم، وكثرة قرآئه على حدود دولة رسول الله محمّد ﷺ، من حيث إنّ الرسول الأعظم محمّد ﷺ، قبل استشهاده العظيم، لم يترك شيئاً لا صغيراً ولا كبيراً من مبادئ الإسلام وأركانه، وأصول الدّين

وفروعه، وأحكام الشّرع وقواعده، إلّا وبيّنها وأوضحها وأمر بتقييدها، وقبيل استشهاده بأيام، هلمّوا جند الشيطان بتنفيذ مخططهم في الحرب على إسلامه الأصيل وأهل بيته ﷺ بيت التنزيل، فبدأوا مؤامرتهم بقولهم للنّبي الرّسول ((**إنّ النّبي يهجر**))[٨١]، عندما طلب بأن يؤتى له بدواة وقلم ويقيّد ما نزل به وحي الله من وصيته بالقرآن الكريم وترجمانه أهل البيت ﷺ، وعندها بعدما شككوا بشخص مقام النّبوة وضلّلوا النّاس، وانحرف كثيرٌ مِنَ الصّحابة بمن فيهم الذين يحفظون القرآن على ظهر قلوبهم ويحملونه في وجدانهم وعقولهم، وبعدها جاءت خطوات مؤامرتهم تترا، إذْ منعوا تدوين حديث الرسول محمّد ﷺ بحجّة لئلّا يختلط بالقرآن، في حين رسول الله ﷺ ترك لنا القرآن مدوّناً مجموعاً وإلّا ما قال: ((**إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمُ الثَّقْلَيْنِ؛ أَحَدهُمَا أَكْبَر مِنَ الآخَرِ، كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَن يَّفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ**))[٨٢]، كما أنّ السَّيّدة الزهراء ﷺ في أكثر من مورد وموضع أثبتت هذا الأمر وأشارت إليه في خطاب حِجَاجها، منه قولها: ((**هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً**))، وقولها: ((**فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أ رَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟**))، ولكنّهم بخبثهم كانوا يهدفون إلى طمس ذكر أهل البيت ﷺ، ووصايا الله ﷻ ورسوله العظيم بهم، ثمّ جنّدوا مَن لا علم له ولا علاقة بالحديث الشّريف، وأمروهم بتحريف الأحاديث النّبويّة، بل ووصل الأمر إلى وضع الأحاديث الموضوعة المزيفة المفترات على رسول الله محمّد ﷺ، ففي خضم معترك هذا المُناخ وهذه الأجواء كانت ولادة خطبة السيّدة الزهراء ﷺ.

من هنا فالمتلقّون الحاضرون مع الخصم الظّالم كانوا بين صحابيٍّ وراوٍ وقارئ حامل لكتاب الله القرآن العظيم، لذلك كان استدلال السَّيّدة الزهراء ﷺ عليهم مخصوصاً دقيقاً لا يقبل الرّيب ولا الشّك فيه أبداً، ولعلمها أهمية الاستدلال بآي القرآن وقوة حجّته، لأنّ الله تعالى جعله الحجّة والتّبيان، والداعي والبيان، ومن إعجازه منطق حججه يذعن لها النّاس أجمعين، وكذا جعل مقدرة خاصة عند رسله وأنبيائه وأوليائه على الحجاج وبلاغته وفصاحته، لتبليغ رسالته، بالمحاجة والمجادلة، وهذا ما كان عليه رسولنا العظيم محمّد ﷺ، وأهل البيت ﷺ يستعملونه لمعرفتهم وإدراكهم عَالِمين بين حجج الحقّ، وحجج الباطل، وكانوا يحذرون من الجدال لأنّه مبنيٌ على التّمويه والخداع، كما هي الحال مع نصارى نجران وغيرهم، كلّ هذا لما كان أتى القرآن من فصل الخطاب أفحم به الخصوم!، إذْ عرف الإمام عليّ ﷺ بتفرّده إجادة نقده الاحتجاج العقليّ بين المسلمين كافّة، وعلى وجه الخصوص بين الصّحابة كلّهم[٨٣]. وكذا كفؤه السيّدة الزهراء ﷺ انطلاقاً من هذا المبدأ استدلت بـ(**٢٧/ سبعٍ وعشرين**) آية توزعت على (٢١/ **واحدٍ وعشرين**) موضوعاً حِجَاجيّاً، كما في الآتي:

ففي **حُجّية تقوى الله** ﷻ، استدلت بقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٨٤]. وفي **حُجّية طاعة الله وخشيته**، بقوله ﷻ، عند خطابها: ((وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٨٥])). وفي **حجّية خوف تخطّف النّاس من نصرة الحقّ**، بقوله ﷻ: ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾[٨٦]. وفي **حجّية إثبات عداوة الآخر للإسلام ولأهله وإثارتهم الفتن**، بقوله ﷻ: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾[٨٧]. وفي **حجّية مَنْ زعم خوف الفتنة**، بقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٨٨]. وفي **حجّية تحدّيها بُعد القوم من محاولتهم صرف الحقّ عن صراط الله المستقيم**، بتبرير زعم خوف الفتنة، عند قولها ﷺ: ((فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَ﴿أَنَّى تُؤْفَكُوْنَ﴾[٨٩])). وفي **حجّية الظّالمين للحقوق ولأنفسهم**، بقوله ﷻ: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٩٠]. وفي

**حجّية مَن يبتغي غير الإسلام ويخالفه بغير ما أمر الله** ﷻ، بقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٩١]. وفي **حجّية مَن يأخذ بحكم الجاهلية في منع الإرث:** ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٩٢]. وفي **حجّية مَن عمدوا منع إرثها** عليها السلام: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[٩٣]، وقوله تعالى لدى خطابها الاستفهاميّ عليها السلام: (( أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، اذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾[٩٤]))، وقوله سبحانه لدى خطاب قولها عليها السلام: ((وَقالَ فيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَي بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام إذْ قالَ رَبِّ ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[٩٥]))، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[٩٦]، وقوله ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[٩٧]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٩٨]. وفي **حجّية عاقبة الذين منعوا حقّها من الإرث،** بقوله تبارك اسمه: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٩٩]، وقوله ﷻ: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾[١٠٠]. وفي **حجيّة انقلاب القوم على أعقابهم** بعد استشهاد الرسول محمّد ﷺ، قوله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١٠١]. وفي **حجيّة خشية القوم غير الله ومحاربتهم الحقّ وأهله،** قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٠٢]. وفي **حجّية استشراف دخول الخصم وقومه نار الله الأبديّة،** قوله ﷻ: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[١٠٣]. وفي **حجّية يقين انقلاب الظّالمين وسوء عاقبتهم،** قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[١٠٤]. وفي **حجّية يقين جزاء الأعمال بمجيء اليوم الموعود،** قوله سبحانه: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۞ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[١٠٥]. وفي **حجّية ارتكابهم الأمر العظيم بما سهّلته لهم أنفسهم،** قوله ﷻ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[١٠٦]. وفي **حجّية خسران المُبطلين،** بقوله جلّ جلاله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١٠٧]. وفي **حجّية تحقق حصول الرّين على قلوبهم،** بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[١٠٨]. وفي **حجّية تدبّر القرآن العظيم،** بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١٠٩]. وفي حجّية ظنّها المطلق بالله ﷻ على أنّه الغني عن عبادة أيّ مخلوق، قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[١١٠].

إنماز استدلال السَّيّدة الزّهراء عليها السلام بالنّص القرآنيّ في إلقاء حجّتها على الآخر الخصم وقومه، إذ يفسر سعة التجانس بين مضمون الخطبة وأسلوبها الفنّي، في التوكّؤ عليه بنمطيه التّناصي والاحتجاجيّ[١١١] بالخصائص الآتية:

**<u>أوّلاً</u>:** إنّ موارد استدلالها القرآنيّ عليها السلام كلّها، اعتمدتِ الآيات المحكمة التي لا يستطيع الآخر الخصم المعني بخطابها تأويله بزيغ قلبه ويدخله في المتشابه.

**<u>ثانياً</u>:** تلقّت عليها السلام موضوعات مناسبة خطبتها بدقّة متناهية، إذْ إنّها أخذتها من تخصّصاتها القرآنية الأصول في تشريع الأحكام النازلة بسببها، وهذا التّلقي قطع جدال الآخر الخصم وأفحمه في ردّ الحجّة أو مراوغته في مماراتها وتشويهها أمام النّاس أو أمام التأريخ وتوثيقه.

**ثالثاً**: استدلالها نتائج الجزاء والعقاب، وكذا استدلالها في مآل عاقبة القوم ونهاية أمرهم، –وهو ما تبحثه موضوعة اندماج استشرافها ﷺ بالاستشراف القرآنيّ– تبعاً لتطابق أقوال القوم الخصم وأفعالهم وأعمالهم على الأقوام الذين حاربوا الأنبياء والرسل السَّابقين وأوصيائهم وأبنائهم، وكانوا مصداقها المماثل في تطابق الأعمال وخواتيمها وجزاءاتها الدّنيوية والأخروية.

**رابعاً**: أخذ استدلالها على الآخر الخصم الظالم ومن معه، طابع انتقاء الآية وجزئها لدى توظيفهما بتشكيل خطاب حُجيّتها في باب تخصيص مورد الفكرة التي يحملها كلّ نصّ من مقاطع خطبتها العصماء، فلم تترك للآخر الخصم نفسه ومن يناصره على مرّ العصور، ثغرة أو فراغاً في تحريف مطلب الاستدلال أو تغيير عنوانه. ومن ثَمّ لن يقبل استدلالها التأويل وتزييف في استبدال أسماء الظّالمين لأبيها الرسول العظيم ﷺ ولبعلها الإمام عليّ عليه السلام لها ﷺ ولأهل بيتها المعصومين المُطهّرين ﷺ، ويُبقِي الوثائق والحقائق محفوظة مصونة للتأريخ، ولمن ينشد الحقيقة وواقعها.

## (٣–٥): أسرار تكرار الكلمة المفتاح ووظيفته الحِجَاجيّة:

إنّ للتّكرار في بنية الخطاب الحِجاجيّ لدى كلّ قسم من أقسامه أسراراً، كما أنّ له وظيفته التي تشكّل عاملاً مهماً في تثبيت مراد المنشئ (المتكّلم أو الخطيب)، وتوكّده توكيداً لفظياً وموضوعياً متجاوباً مع غرض مناسبة الخطاب الحجاجيّ الرئيس، إذْ هو من أبرز الأساليب الحِجاجية لما له من دور فاعل ضمن مكوّنات الحِجاج ليس على مستواه البديعي الجماليّ فحسب، بل في رسالته الإقناعية وبلوغه بحجّيته المبلغ الأبعد، لمنحه الحجج والبراهين طاقة مضاعفة تحدث في المتلقّي أثراً جليلاً، وتعمل بفاعلية قصوى في إقناعه وحمله على الإذعان[١١٢]، من حيث إنّ الأساليب البلاغية في توظيفها الحِجاجيّ قد يتم عزلها عن سياقها البلاغيّ، وتتعدى وظيفتها الجمالية إلى وظيفةٍ إقناعية استدلالية، لما فيها من خاصّية التّحول لأداء أغراض تواصلية، ولإنجاز مقاصد حِجاجية[١١٣]، وفي البرهة نفسها يعمل على انسجام الوحدة النّصية لبنيته الكليّة للفكرة الموضوعية الواحدة، من مجموع الأفكار التي تكوّن بناءه العامّ الكلّي، حيث يحمل على تركيبها وسياقها حُجّيّة الاحتجاج والاقناع اللذَينِ يقصدهما المنشئ نفسه، هادفاً بهما تغيير قناعة المخاطَب المتلقّي أو إلقاء الحجّة عليه في تثبيت علمه بمخالفةٍ ما أو انحرافٍ عن جادة سبيل الحقّ أو تسجيل موقف المواجهة ضدّ موقفٍ من مواقفه الباطلة أو إحداث ثورة نفسية وعقلية معاً، لأخذ الاعتراف وكشف حقيقته أمام التأريخ وأمام توثيقه بصدقٍ من دون تحريف ولا تزييف، ولقد أولت الدراسات الحجاجية موضوعة التّكرار أهمية خاصّة في بنية مكونات الخطاب الحجاجيّ لما لوظيفته التي أشرنا إليه آنفاً من وقع مؤثر في توجيه المُخاطَب المخصوص والمتلقّي بصورة عامّة، فضلاً عن البُعد الصوتي وإيقاعه الذي يولّده التّكرار في ذهن المتلقّي المخاطَب، له تأثير مباشر في تغيير سلوك المخاطب وعلاقة ترابطية بالحال النفسية والتجربة تفاعلاً مع الحدث[١١٤]. ممّا يكون له صدىً بفعل ترددات الصّوتية المتكررة في قرارة نفسه تتفاعل مع ما يشعر به من احتجاج خطاب المنشئ الموجّه إليه إيجاباً وسَلباً، لخصوصية قدرته على توليد المعنى، وعلى تحديده داخل النّص وتأطيره[١١٥]، وهذا ما ألمحناه في تكرار كلمة خطاب السَّيّدة الزّهراء ﷺ الحجاجيّ، إذْ كرّرت كلمات جعلتها هي المفتاح الذي يعضّد موضوع الغرض الرئيس ويثبّته، ويدلّ في الوقت نفسه على الحقيقة التي تريد إثباتها وتأكيدها وحفظها وترسيخها في ذهن المخاطَب وللمتلقّين في العصور كلّها.

أ- **تكرار كلمة لفظ الجلالة (الله) ﷻ:**

بعد إجراء الإحصاء الأسلوبيّ بكلمات غرض الخطبة الرئيسة وعناصرها، ألمحنا أنّ السّيدة الزهراء ﷺ ذكرت لفظ الجلالة **(الله)** ﷻ **(أَربعاً وسِتّين / ٦٤)** مرّة في خطابها الحجاجيّ بوجه الخصم وقومه تذكيراً له بالله الذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم عن ظلمه وإيذائه لها، وغصب إرثها وسلب حقّها، فضلاً عن ملحقها الحواري مع أمير المؤمنين الإمام عليّ ﷺ، حيث توزّع تكرار ذكرها **(الله)** ﷻ في مواقف متعددة، واستدلالات متنوعة، وإضافات مخصوصة، وفي أحوالها الحجاجيّة كلّها، كانت قاصدة إيّاها، ولم تنسها ذكر **(الله)** مواقف ظلم الخصم، وما وقع عليها من أذى الظلامة منه ومن قومه، بدليل أنّها كرّرت كلمة لفظ الجلالة **(الله)** أكثر من كلمات مفاتيح خطابها كلّها، وبدأته مستهلة ديباجة خطبتها بـ**(الحَمْد لله)**، وختمت كلامها عند حوار بعلها الإمام المرتضى ﷺ بذكرها (الله) ﷻ حال طلبه منها الاحتساب، فقالت: **((حَسْبِيَ اللهُ))**، فتحصيل الحاصل بدأت بحمد **(الله)** وختمت بالاحتساب إليه ﷻ. وذكرها العرفانيّ بـ**(الله)** ﷻ، يدل على تسليمها وانقطاعها المطلق إلى **(الله)**، وعمق ارتباطها بـ**(الله)** ومعرفتها بعموم كتابه القرآن العظيم وخصوصه وأحكام شرعه في حركاتها وسكناتها كلّها، وفي نطقها وسكوتها وأحوالها جميعاً. وفي الوقت نفسه تثبت وتوثّق للتأريخ الحاضر لها والقريب منه والبعيد أنّها الحقّ الأحق النابع من ملازمتها الله ﷻ، في قبال كشف تقابل الضدّ لصورة علاقة الخصم وقومه بالشّيطان، وكانوا جنده وأولياءه ومن قبلُ آباؤهم كانوا هم الشّياطين حقّاً، وفعلوا ما فعلوا من ظلم على أبيها النّبي الرّسول الأكرم ﷺ ومن بعدهِ عليها وعلى حقوقها وعلى أهل بيتها ﷺ.

ب- **تكرار كلمة (أَبِي):**

رصدتِ القراءة ووجدتْ بعد تأملها في أسلوب خطاب حِجاجها النّصي، أنّ كلمة **(أَبِي)** تكررت (اثنتي عشرة مرة /١٢)، إذْ جاء عدد هذه المرّات الاثنتي عشرة متوافقاً مع عدد فاصلات ديباجة الخطبة الذي هو (اثنتا عشرة /١٢) فاصلة، وهذا لم يكن محض مصادفة، بل هو عماد أساس هندسة إنشاء السَّيّدة الزهراء ﷺ لحِجَاج خطابها الفدكيّ، وكأنّها تريد بيان أنّ مرجع كلّ شيء إلى **(أَبِي)** فلا حمد ولا شكر ولا ثناء يتقبّله اللهُ ﷻ إلّا بالإيمان المُطلق برسالته الإلهية، وما جاء به من حلال الله الطيّب الذي هو حلالٌ إلى يوم القيامة، وما حرّمه من الحرام الذي هو حرامٌ إلى يوم القيامة أيضاً، لأنّه ﷺ ﴿ **مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾[١١٦]، وفي البرهة نفسها أنّ تكرار مفردة **(أَبِي)** اثنتي عشرة مرة إثبات وكشف للمتلقين في زمن الحاضرين والغائبين، وكذا في سائر الأزمنة اللاحقة بها كلّها، على أنّها مطالبة بحقّها من إرث أبيها، وليست كما كان زعم القوم بادعائهم أنّها ابنة رسول الله ﷺ ورسول الله ما يورث، بحسب ادّعاء الخصم الظّالم لها ابن أبي قحافة، عند استدلاله بحديث: (إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)، وبإقرار المُحَدِّثين على أنّه حديثٌ انفرد ابن أبي قحافة به[١١٧]، وحتى لو قبلوه فقراءة ابن أبي قحافة له غير صحيحة مخالفة للغة الحجاز في الجزيرة العربيّة آنذاك!، من حيث إنّ (ما) الواردة في الحديث هي (ما) الحجازيّة التي بمعنى (ليس) نافية لحصول إثبات أنّ النّبي لا يورث الذي يتركه صدقة!، بتعبير آخر أنّ النّبي يورّث لأولاده كسائر المسلمين الذين يطبّق عليهم حكم الله في كتابه القرآن العظيم، فلا يكون إرثه صدقة للمسلمين لأنّه بمثل هذا مخالف لشرعه في تنزيله الحكيم،

فهو مخصوص بقوله الله المجيد: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[١١٨]، وبقوله تعالى: **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُوْلِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**[١١٩] فحاشا له فعل ذلك، حيثُ قرنت رابطة ذكر رسول الله بمفردة **(أَبِي)** قرينة لفظية على أنّها تطالب بحقّها الشّرعي من أبيها رسول الله ﷺ كما شرّعه اللهُ في كتابه الحكيم لأولاد الوالدين جميعاً من دون استثناء لا الأنبياء ولا الرسل، كما كان زاعماً ابن أبي قحافة. ولقد تعددت محطّات تكرار كلمة (أَبِي) من حيث مقامات أبيها النّبي ﷺ في الموارد الاثني عشر، التي تسند دلالتها المركزية في خطابها الحجاجيّ.

ففي **محطّة مقام الشّهادة (الأوّل)**، قالت ﷺ: **((وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّداً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ))**، وفي **محطّة مقام الصّلاة** عليه وأهل بيته ﷺ **(الثّاني)**، قالت: **((صَلّى اللهُ عَلَى أَبِي نَبِيَّهِ وَأَمِيْنِهِ عَلَى الوَحْيِ))**، وفي **محطّة مقام تذكير القوم بمعلوم شأنها ومعرفتهم بأبيها** الرسول العظيم ﷺ **(الثّالث)**، قالت: **((اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ))**. وفي **محطّة مقام بيان شخصية رسول الله** أبيها وما يتمتع به من صفات وأخلاق وقيم **(الرّابع)**، قالت: **((لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيم} فَإِنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ))**. وفي **محطّة مقام إلقاء سؤال حجيّتها على الخصم في إرث أبيها** ﷺ **(الخامس)**، قالت: **((يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أفي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أبِي؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا﴾))**. وفي **محطّة مقام إثباتها صلة رحمها** بأبيها رسول الله ﷺ في استفهام حِجاجها على الخصم **(السّادس)**، قالت: **((وزَعَمْتُمْ أَلَا حِظوَةَ لِي، وَلا إِرْثَ مِنْ أَبِي لا رَحِمَ بَيْنَنَا!))**، وفي **محطّة مقام ردّها استثناء الخصم الظّالم** وقومه لإرث أبيها عَبْر طلبها منهم آية من الله ﷻ فيها خصّهم بها وأخرج منها أباها النّبي ﷺ **(السّابع)**، قالت: **((أَ فَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟))**. وفي **محطّة مقام حجّيّة كونها هي وأبيها** من أهل مِلّة دين واحد، للخصم الظالم مستفهمة **(الثّامن)**، قالت: **((أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟!))**. وفي **محطّة مقام علم رسول الله ﷺ أبيها وابن عمّها خليفته ووصيه الإمام عليّ** عليه السلام **(التّاسع)**، قالت: **((أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟))**. وفي **محطّة مقام استدلالها بقول رسول الله ﷺ أبيها** في حفظه بوُلْدِه **(العاشر)**، قالت: **((أما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أَبِي، يَقُولُ: ((اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ))؟))**. وفي **محطّة مقام اللجوء ببثّ شكواها إلى أبيها** الرسول محمّد ﷺ، **ودعائها إلى ربّها الإله العظيم** ﷻ بأخذ حقّها وحقوق أبيها وبعلها وبنيها من عدوّها الظالم **(الحادي عشر)**، قالت: **(( شَكْوايَ إِلَى أَبِي، وَعَدْوَايَ إِلَى رَبِّي. اللّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلاً، وَأَحَدُّ بَأْساً وَتَنْكِيْلاً))**. وفي محطّة مقام عتابها بني قَيلة **(الثّاني عشر)**، قالت: **((أَيْهَاً بَنِي قَيْلَةَ! أُأُهْضَمُ تُرَاثَ أَبِيْه وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟!))**، إذْ إنّها وردت بالتّصغير مرة واحدة يتيمة في خطابها الحجاجيّ الاستفهاميّ الإنكاريّ **(أُبَيْه /١)** في أثناء عتاب السَّيّدة الزهراء عليها السلام بني قَيْلة الذين كانوا حاضرين مع الخصم الظَّالم، وخذلانهم في نصرتنا والدفاع عن حقّ إرثها من أبيها رسول الله ﷺ وحقوق أهل بيتها ﷺ ، والنكتة في قصدية التّصغير هي تعظيم هول الظلامة التي وقعت عليها ﷺ من الخصم الظالم، وفي اللحظة الحجاجيّة نفسها يحمل دلالة رفضها وجودهم المتصاغر مع الخصم وإنكارها إيّاه، وكذا دلالة تصغير موقفهم المتواني المتخاذل الضّعيف الصغير تجاه ردع الظّالم وردّه عن ظلامتها في سلبها إرث أبيها رسول الله محمّد ﷺ، على الرّغم ممّا هم فيه من **(مَجْمَعٍ)**، وبالمحصلة يجعلهم شاعرين بتقابل الخفاء من حيث إنّ الذي يفعلوه في ظالمها وأهل بيتها ﷺ هو فعل كبير عند الله ﷻ وعقابه خزيٌ في الدّنيا وخزيٌ في الآخرة مع عذاب شديد أليم أبديّ، كما عضّد خطاب تكرارها الحجّاجي تكرار آخر لازمه سياقيّاً وحدة الغرض الرئيس، ألّا وهو اشتقاقات جذر الفعل **(ورث)** التي بلغ عدد تكرارها في خطابها ﷺ **(إحدى عشرة/١١)** مرّة، وهي: **(إِرْث/٢ – إرثيه – أرث – يتوارثان – ترث – ورث – يرثني – يرث –**

**الميراث)**. لذلك كان لها جواب تصديقي تثبت فيه صدق نسبها إلى أبيها رسول الله محمّد ﷺ بأنّها (ابنتُهُ) بعد استفهامها التَّوبيخي للخصم والذين معه، قائلة: **((أَفَلَاْ تَعْلَمُون ؟، بَلَى تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ))**.

**ت- <u>تكرار كلمة (كِتَاب الله)</u> ﷻ:**

لقد تكرّرت كلمة (كِتَاب) في خطاب حجاج الخطبة الفدكيّة **(تسع مرّات /٩)**، في ثمانٍ منها حاججت السيّدة الزّهراء ﷺ بها الخصم المخاطَب وقومه جاعلة إيّاها مضافة إلى لفظ الجلالة **(كِتَاب الله)**، وواحدة يتيمة جعلتها معرفة بـ**(الـ/ الكِتَاب)**، وأضافت إليه قوماً سابقين كانوا منحرفين مردة من **(أَهْل الكِتَاب)**، وبهذا التعبير الحجاجيّ كانت السّيدة الزهراء ﷺ قاصدة بتكرار كلمة **(كِتَاب)** من دون غيرها من كلمات أسماء القرآن الكريم، تخصيص الدّلالة بـ**(كِتَاب الله)**، وهذا التّخصيص يعمل على بيان شيئينِ هما؛ الأوّل: يخصّص ببيانه دلالة **(كِتَاب الله / القُرآن)** من دون سائر كُتُب السَّماء الأُخَر، والثّاني: يثبت حقيقة وجوده مدوّناً في زمن رسول الله محمّد ﷺ وحتى بعد استشهاده سموماً، لا كما زعم القوم خلاف هذا! وراحوا بزعمهم مانعين الرّواة تدوين الحديث لأغراض بيّنتها الوثائق التّأريخيّة، ولإثبات هذه الحقيقة وتأكيدها، عمدت السّيدة الزّهراء ﷺ أن تجعلهما **(الإثبات والتّأكيد)** يشتغلان بوظيفتين في آنٍ واحدٍ، الوظيفة الأُوْلى؛ أدّاها التّكرار بتعدد مرّات ورود كلمة **(كِتَاب الله)** بالعدد نفسه آنف الذّكر، والثّانية؛ جاءت ملازمة للتّكرار عَبْر الإضافة المُتحقِّقة بين كلمة **(كِتَاب)** ولفظ الجلالة **(الله ﷻ)**، إذْ إنّها تفيد ثبوت تحقّق **(كِتَاب الله)** وتأكيد وجوده، ونماذج التّكرار الحجاجيّ لكلمة **(كِتَاب)** في خطابها، تكشف لنا ما تقدّم القول فيه، وهي الآتية:

ففي تكرار **(<u>المرّة الأُوْلى</u>)** وظّفت كلمة **(كِتَاب)** مفتاحاً رئيساً لتخصيص دلالته المقصودة بـ**(كِتَاب الله / القرآن)**، ودفعت به شبهات زعم الخصم وقومه وأبنائهم على مرّ الزّمن كلّه، فقالت ﷺ: **((... وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ ...))**، وعضّدته بمفردة **(استَخْلَفَها)** الدالة على يقين وجود الكِتَاب المادي مدوّناً وإلّا كيف يصدق عليه الاستخلاف إذاً وتحاججهم به ؟. لذلك تكفّل تكرار **(<u>المرّة الثّانية</u>)** الذي جاءت به ﷺ لتؤكّد هذا الوجود ومُنكِرة على الخصم كذبه وافتراءه، قائلة: **((فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ))**، نلحظ قولها الحِجاجيّ ﷺ **(وَكِتَابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ)**، بعد إثبات وجوده **(بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ)**، من حيث إنّ **(بَيْنَ)** الظّرفيّة أضيفت إلى مكان تواجد الخصم ومن معه بصيغته الصّرفية الجمعيّة للقلّة **(أَفْعُل = أَظْهُرِكُمْ)** لأنّها بعددهم المكانيّ المشخّص، وفي البرهة نفسها أعطى معنى قلّة عمل الخصم بالقرآن الكريم على الرّغم من وجوده بينهم، فحملت الدلالة المكانيّة لوجود **(كِتَاب اللّه)** حقيقة **(مادياً** = مكتوب مدوّن)، و**(معنوياً** = محفوظ في صدور القرّاء والحفظة)، ويراه الخصم وقومه ويسمعونه، حتى أنّها ﷺ أشفعته بوصفٍ دقيقٍ، وبدلالات تصوير ساندة إليه في حقل واحد، هي؛ **(أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ)**، فـ**(ظاهِرَةٌ – زاهِرَةٌ – باهِرَةٌ – لائِحَةٌ – واضِحَةٌ)**، ومنْ ثَمَّ ألقت خطابها مصرحة بتحقّق ترك العمل به ومخالفته؛ **(**قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ)، فـ(وَرَاءَ) ظرف مكان أضافته السيّدة الزهراء ﷺ إلى صيغة جموع الكثرة **(فُعُول = ظُهُورِكُمْ)**، لأنّها في

موقف بيان كثرة مخالفة الخصم القرآن الكريم وسعتها، وبُعدهم عن تطبيقه بأحكامه وشرع الله تعالى فيه، ذلك قالت لهم ﷺ: **(قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ)**، وتوظيفها **(قَدْ)** قبل الفعل الماضي المضعّف **(خَلَّفْتُمُوهُ)** أثبتت معنى يقين التحقّق الذي هدفت إلى كشفه وتصويره السيّدة الزّهراء ﷺ، وبعد عرض إثباتها بمفتاح وسيلتها الإقناعيّة العامّة، يأتي تكرار **(المرّة الثّالثة والرّابعة)** لتحاجج الخصم (ابن أبي قحافة) ومن معه بأحكام **(كِتَاب الله / القرآن)** الخاصّة بالإرث والحقوق، مع بقاء إثباتها وجوده فيهم، فتقول: **((أَيُهَا الْمُسْلِمونَ أ أُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أ في كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أبي؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا﴾، أَ فَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ))**، إذْ كانت أسئلتها؛ **(أَ فِي كِتَابِ اللّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ، وَلَا أَرِثَ أَبِي؟)**، **(أَ فَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ)**، لهم كحجارة السجّيل على رؤوسهم، **((**لأنّ كتاب الله موضع اهتمام السيّدة فاطمة وعنايتها**))**[١٢٠]. ولهذا كان تكرار **(المرّة الخامسة)** كاشفاً حقيقة الخصم وقومه منذ أيّام حياة رسول الله ﷺ وبعد مصيبة موته باستشهاده العظيم، بأنّهم مصداق الذين انقلبوا وينقلبون، ولقد أعلن بها **(كِتَاب الله / القرآن)**، وبيّن الأحداث التي تجري على يد الخصم وقومه أنفسهم، فقالت: **((أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكِ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ -جَلَّ ثَناؤُهُ- فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإِلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ﴾))**. لذلك تحاججهم في تكرار **(المرّة السّادسة والسّابعة)** بنفي الصّدف والمخالفة عن رسول الله محمّد ﷺ لـ(كِتَاب الله) ﷻ، وتؤكّد اتباعه أثره المبارك، وتجسيده سوره الكريمات، وتثبت يقين كون (كِتَاب الله) ﷻ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، وتقول: **((سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ عَنْ كِتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: {يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ} ،{وَوَرِثَ سُلَيْمانَ داوُدَ} فَبَيَّنَ عَزَّ وَجَلَّ فيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرائِضِ وَالمِيراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلينَ، وأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ في الغابِرينَ))**. ومنه ختمت تكرار كلمة **(كِتَاب الله)** بـ**(المرّة الثّامنة)** من خلال استشهادها آيات **(كِتَاب الله / القرآن)** الصّريحة على الخصم وقومه، والتي تفيد دلالة عموم الإطلاق وشموله بأحكام الإرث بين أولي الأرحام من دون استثناء أحد لا من الأنبياء ولا من غيرهم، وأسندته بمفردات الإرث **(وَرِثَ – يَرِثُني – يَرِثُ)** التي حوتها الآيات التي قصدت اختيار توظيفها السّيدة الزّهراء ﷺ، -تقدّم التّحليل فيها عند معالجة الموضوعة السّابقة-، من هنا قالت: **((أَ فَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، إذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾، وَقالَ فيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام اذْ قالَ رَبِّ ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّه﴾))**.

أمّا تكرار كلمة **(الْكِتاب)** **(التّاسع)** المعرفة بـ**(ال)**، فهي المرّة اليتيمة في خطاب حجاج الفدكيّة كلّه، والذي أرادت به كشف مقتضى حال الخصم وقومه، ومطابقتهم بقوم هم **(بُهَم الرِّجالِ وَذُؤْبان الْعَرَبِ وَمَرَدَة أَهْلِ الْكِتابِ)** سابقين لهم فعلوا فعلهم وعملوا عملهم بمخالفة **(كِتَاب الله)** وضدّه في زمن نبيّهم ورسولهم، فأصبحوا مثلهم وصدق تشابه صورتهم التي كانوا عليها بنبذ

**(الكِتَاب)**، وترك العمل به والعمد بمخالفته وخلفه وراء ظهورهم والسّخرية والاستهزاء به أيضاً، لذلك جاء رسول الله ﷺ ووجدهم على ما هم عليه فأنقذهم الله ﷻ به ﷺ، وعلى الرّغم من ذلك بقوا يخططون لفتن الحرب وإثارتها، وهذا هو ما كشفته السّيدة الزّهراء ﷺ وصوّرته في خطاب حجاجها على الخصم وقومه، بقولها: **((فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ﴾))**.

**ث- <u>تكرار كلمة (ابن) عمّي و(الأخ) لشخص الإمام عليّ ﷺ</u>:**

نلحظ أنّ السيّدة الزهراء ﷺ ذكرت الإمام عليّ ﷺ **(ثلاث/٣)** مرّات، في خطابها الحِجاجيّ للخصم وقومه، مرّتين بـ(ابن عمّي)، عند قولها: **((أَ فَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ، وَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ <u>مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي</u>؟))**. وكذا قولها: **((أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ... فَإِنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، <u>وَأخا ابْنِ عَمّي دُونَ رِجالِكُمْ</u>، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلى الله عليه وآله))**. ومرّة واحدة بـ(الأخ)، أي: بالأخوة الإلهية متبادلة الأدوار والأهداف في ارتباط النّبوة بخلافة الإمامة والوصاية والمشاركة بينهما في الجهاد[١٢١]، عند قولها: **((فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، {كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ}، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ <u>قَذَفَ أَخاهُ</u> في لَهَواتِهَا، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً في أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سِيِّدَ أَوْلِياءِ اللّهِ، مُشْمِّراً ناصِحاً ، مُجِدّاً كادِحاً))**، لذلك قالت: **(قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِهَا)**، لماذا؟، لأنّ مَهَمَّة حمل مسؤولية الدفاع عن الإسلام والدِّين الحنيف، لا تكون إلّا لوصي النّبي وخليفته المنصوص من الله ﷻ، وهذا ما أثبتته المواقف مع الصحابة كلّهم، أنّهم في حال اشتداد الوطيس يهربون! ويتركون رسول الله وحده في ساحة الحرب، كما حدث في (أُحُد)، و(الأحزاب)، والقائمة طويلة..!. وعليه فوصف السيّدة الزهراء ﷺ للإمام عليّ ﷺ الذي أشفعته بذكره مباشرة لم يكن جزافاً ولا اعتباطاً في مقام حِجاجها حاشا لها هذا، بل لأنّها تريد تذّكر القوم من هو ابن عمّها في تأريخ الإسلام، وفي مواقف العظيمة في نصرته والدفاع عنه، وما مقامه عند الله ورسوله ومكانته منه، لذلك قالت: **(مُجْتَهِداً في أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سِيِّدَ أَوْلِياءِ اللّهِ)**.

وهنا سؤال يعرض نفسه، **ما علاقة ذكر السيّدة الزهراء ﷺ الإمام عليّ ﷺ بغرض خطبتها الرئيس؟**، كما كان يزعم ويدّعي المخالفون أنّ غرضها خروجها مطالبة بفدك وحقوق إرثها من أبيها!. لذلك هذا يثبت ما قلناه هناك لدى صدر البحث في قراءة مناسبة الخطبة وأحداثها المتزامنة معها، من أنّها خرجت محاجِجَة الخصم وقومه ومدافعة عن مقام النّبوة والإمامة وحفظ كتاب الله والدعوة إلى تطبيق أحكامه التي أنزلها الله وشرّعها فيه.

من هنا نلمح ذكرها ﷺ الإمام عليّ ﷺ في مقامات حِجَاجها المُهِمَة الرئيسة التي تذكر فيها أباها رسول الله محمّد ﷺ، والإمام عليّ ﷺ يأتي ذكره مباشرة؛ كما مرّ قولها: **(...أَبِي وَابْنِ عَمّي...)**، و**(الواو)** دلّت على الترتيب المعنويّ والتعقيب هنا، جعلت الرسول محمّد ﷺ والإمام عليّ ﷺ شيئاً واحداً في عطفها المُبيِّن العلاقة بينهما، وبحكمها التركيبيّ الذي أفاد الجمع والقربة

بينهما أيضاً، إذْ دلّ السياق كذلك على أنّ أحدهما لا يستغني عن الآخر في البُعْد التكوينيّ، و(...**أَخَا ابْنِ عَمِّي دُوْنَ رِجَالِكُمْ**...)، الإضافة تفيد أنّ الإمام عليّ عليه السلام من رسول الله والرسول صلى الله عليه وآله منه، كما في قوله صلى الله عليه وآله: ((**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**))[١٢٢]، (...**قَذَفَ أخاهُ**...) و(**الهاء/هُ**) الضمير الملاصق المتصل عائد إلى رسول الله أبيها صلى الله عليه وآله، وعليه فذكره لم يكن عابراً في خطاب حِجاجها، بل له اشتغاله في بابه الذي وظّفته لدى مكانه النّصي الذي تجسّدُه (**البَعْديّة**) المقصودة مباشرة من السيّدة الزهراء عليها السلام، بأنّ خلافة الإمام عليّ عليه السلام هي المنصوصة من الله (**بَعْد**) رسول الله أبيها صلى الله عليه وآله كما تبيّن آنفاً.

**(٣-٦): الاستفهامات واشتغالها الحِجَاجيّ:**

بعد أن ذهبت قراءة الدراسة تستقري مكونات بنية خطاب حِجاج السيّدة الزهراء عليها السلام، وهيأة حُجّتها، وجدت أنّ استدلالها في إثبات دلالة المطلوب كان قطبه الأساس، وعصبه الأصل، ووتده الرئيس هو أسلوب الحِجَاج الاستفهامي الذي يكاد يحتل بناء خطابها كلّه، مشتركاً في هذا مع موضوعة استدلالها بالنّص القرآنيّ، وتوظيف مفرداته، فضلاً عن موضوعة التّكرار أيضاً، إلّا أنّ للاستفهام على الخصم المُخاطَب ضغطه الشديد القوي ووقعه المؤثر الذي ينماز بهما عن سائر مكونات الخطاب الحِجَاجيّ، إذْ تقوم بِنيته الحِجاجية على عرض القضية المخصوصة، ثمّ تقديم ما يشرحها ويعلّلها، ويؤدي بحركته الوظيفية الربط بين الأقوال الحِجاجية أو إظهارها بهدف تقوية خطاب الحِجاج نفسه[١٢٣]. وهذا ما كان حاضراً في ساعة إلقاء السيّدة الزهراء عليها السلام خطابها، لعلمها أهميته ووظيفته واشتغاله وفائدته، من حيث ما يؤديه من عامل كشف وتعرية على الخصم المُخاطَب في مقام الاحتجاج، وما يشكّله من قرع لزعم الخصم وادعائه، وما يثيره بدلالاته ومعانيه بحسب مقتضى الحال، ومناسبة المقام في تفاعل بنية السّياق من توبيخ، وإنكار، ورفض، وتعجب، وتهكّم، وتقرير، وتصوّر، وتصديق؛ إيجاباً وسَلباً، وتحقيق، وما يقوم به من تحوّلات صادمة للقناعات وتغييرها حالياً وحضورياً ومستقبلياً، واستدلالات خارقة تُظهر المخبوء عند الخصم على حقيقته وتغيّر مسار نسقه المضمر، كما أنّ الاستفهام ببنيته الأسلوبية له خصائص، أهمّها؛ (**التّكثيف الدّلاليّ**)؛ و(**الاقتصاد اللغويّ**)؛ و(**الاختزال الأسلوبيّ**)، و(**التّردد الصّوتيّ**)، التي يختصّ بها هي سرّ كلّ الذي قلناه عنه من اشتغالات حِجَاجيّة متعدّدة، ووظائف طلبيّة بلاغيّة منوّعة، وأبعاد نحويّة دلالية مختلفة، هذه الخصائص نفسها، تجعل استفهامات مطاليبها عالقة في ذهن الخصم، وعميقة في خَلَده، وراسخة في نفسه، وموقظة لضميره، ولضمير الأُمّة على مرّ الأجيال، وهذا ما أدّاه وأجراه وعمل به فعلاً في حِجَاجِها عليه. إذْ جعل طَرْق الضغط الناتج من استفهام الحِجَاج، بصوته المدوّي ليلَ نهار الخصم في نهاية النهاية قبل موته وبعده معترفاً بأفعاله السيئة وجرمه؛ ونادماً هو ومَن كان معه على غصب الخلافة، وإيذاء السيّدة الزهراء عليها السلام[١٢٤].

لقد ورد توظيف السيّدة الزهراء عليها السلام لأدوات الاستفهام في خطاب حِجَاجها (**ثلاثاً وعشرين/٢٣**) مرّة، وقعت تحت حُكْمها النّحويّ ودلالات سياقها، سواء أ بدخولها المباشر على جملة المستفهم عنه وفيه أم عَبْر العطف عليها بـ(**الواو**) أو بـ(**أَمْ**) المعادلة بقرائن لفظيّة دالة على بعض موضوعات مقاطعها أو عنوانات جُمَلها، (**ست وعشرون/٢٦**) جملة استفهاميّة، توزّعت على (**ستة مقاطع/٦**) استفهاميّة، وكلّ مقطع لهُ جُمَلُه الخاصّة به، وأمّا **بحسب عدد اشتغال كلّ أداةٍ** وَظّفتْها السيّدة الزهراء عليها السلام، فلقد انقسم الاستفهام على وفقها إلى (**ثمانية/٨**) أقسام، وهي: **الأَوَّل**؛ (**الهمزة/أ**)، إذْ كانت أكثرها توظيفاً بـ(**١٤**) مرّة، منها (**أربع/٤**) قرآنيّات،

وكذا **(ثلاث/٣)** منها غير حقيقية للتّسوية، ويليه **الثّاني**؛ **(أَنَّى)** بـ**(مرّتين/٢)** إحداهما قرآنيّة، وثُمّ **الثّالث**؛ **(كَيْفَ/١)**، وبَعْده **الرّابع**؛ **(مَنْ/١)** قرآنيّة، ويتبعه **الخامس**؛ **(أَمْ/١)** مشتركة فيه مع **(هَلْ/١)**، وهكذا **السّادس**؛ **(مَا/١)**، و**السّابع**؛ **(أَمَا/١)**، و**الثّامن**؛ **(أيّ/١)** القرآنيّة. كما في الشّكل الآتي:

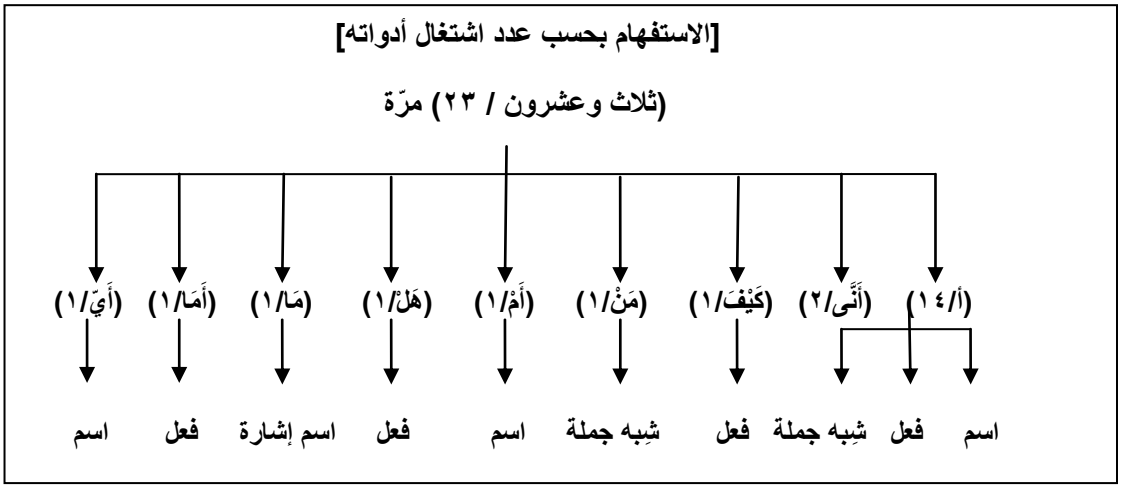


أمّا عرض النّماذج للقراءة فيكون **بحسب تراتب توارد جمل الاستفهامات** في بنية نصّ مقطع خطابها الاستفهاميّ، على اعتبار الوحدة النّصيّة المتداخلة دلاليّاً بين المقاطع الاستفهاميّة للخطبة كلّها أوّلاً، ومن حيثُ إنّ تسلسل الأفكار التي حملتها الاستفهامات باشتغالاتها الحِجَاجِيّة المتعدّدة في جُمَل مقاطعها نفسها، مقصودٌ بهندسة السيّدة الزهراء ﷺ في بناء خطاب الحِجَاج ثانياً، الذي بسياقه العامّ تتبلور الفكرة الكلّية لغرض مناسبته الرّئيس.

وعليه فبيانه ببُعْدِهِ الوَصْفي من خلال كلّ جملة استفهاميّة في مقطعها الاستفهاميّ، يرسم ملامح صورته المتجسّدة في خطاب الحِجَاج نفسه، من حيثُ بَدْؤه بـ**(كَيْفَ)** وتتابعُه بسائر الأدوات الموظّفة في كلّ جملة من جمل الاستفهامات، وخاتمتُه بـ**(الهمزة/أ)** القرآنيّة، ولقد تعدّدت جمل الاستفهامات فيما بينها داخل كلّ مقطعٍ استفهاميّ، بمعيار مرجعية دلالة كلّ استفهام إلى فكرة جملة استفهامية واحدة، فبعضها حوت استفهاماً واحداً بأداة واحدة، عند قولها ﷺ: **(أَمَا كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ: (اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ)؟)**. وبعضها ضمّت استفهامين أحدهما مترتب بالآخر دلالياً ومتعلّقان بشخص مخصوص حِجاجيّاً بأداة كذلك، لدى قولها: **(أ أُغْلَبُ عَلَى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ؟!، أ فِي كِتابِ اللّهِ أَنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أَرِثَ أبي؟)**. وبعضها ثلاثة استفهامات متداخلة –ومنها **(اثنان/٢)** قرآنيّان– في توجهها الدّلاليّ المقصود بأداتين، نحو قولها: **(﴿أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟ أ فَلا تَعْلَمُونَ؟)**. وبعضها أربعة استفهامات معطوفات على بعضهن بحكم دلالة أداة واحدة أيضاً، عند قولها: **(فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ؟، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ؟، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ؟، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمانِ؟)**. وبعضها حملت استفهامين بأداتين عادلت وساوت بينهما بـ**(أَمْ)**، لدى قولها: **(أَ فَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ؟)**. وبعضها ثلاثة استفهامات بثلاث أدوات –منها **(واحد/١)** قرآنيّ–، نحو قولها: **(كَيْفَ بِكُمْ؟ و﴿أَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾؟، ...أ رَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟)**، وهكذا في سائر التكوين الاستفهاميّ في حِجَاج خطبتها. إذِ استفهمتِ السَّيّدة الزهراء ﷺ،

وهي الفَهِمَة غير المُفَهَّمَة، والمُحَدَّثَة، والعَالِمَة غير المُعَلَّمَة بعِلْمِها اللّدُنّي وإلهامِها الإلهيّ، بإذن الله ﷻ (وَكَمْ سَائِلٍ عَنْ أَمْرِهِ وَهُوَ عَالِمُ)، مُحْتَجّةً مُحَاجِجَةً الخصم ومَن معه بها وهي عالمة بحقيقتها اليقينيّة القطعية، ولكنّها أرادت فضح الخصم، وكشف خفيّاته وقومه الذين معه، واطلاع النّاس بعامّة، والمسلمين بخاصّة عبر العصور والدهور، على حقيقة مستواه الفقهيّ ودرجته العلميّة ورتبة معرفته بالقرآن العظيم وخصوصه وعمومه، عَبْر اختباره ومَن معه، لذلك نجدها قد وظّفت استفهامات قرآنيّة مخصوصة من بين استفهامات حِجَاجها الخصم، انتخبتها وانتقتها وقصدتها من دون سائر الاستفهامات الواردة في الخطاب القرآنيّ، لمعرفتها بالمخاطَب الخصم بنبضات قلبه وخلجات نفسه، وثقافته القرآنية، لذا وقع استعمالها على استفهام قرآنيّ مشترك بين حجج خطابها وبين نسبة علمه ومعرفته به، فيوصل المعلومة مشتملة الطاقة الإقناعية الكامنة في إلزام الخصم[١٢٥]، حتى استوت استفهاماتها كلّها في **(ستة مقاطع/٦)** استفهاميّة، يضمّ كلّ مقطع منها جُمَلَهُ الاستفهاميّات الخاصّة بموضوعتها الحِجَاجيّة، وهي الآتية:

**<u>المقطع الاستفهاميّ (الأوّل)</u>:**

**((فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ؟، وَ﴿أَنَّى تُؤْفَكُوْنَ﴾؟، وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أ رَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟، ﴿بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً﴾، ... ﴿أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟ أَفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلَى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ)).**

تحمل موضوعة هذا المقطع حِجَاجيّة كشف فتن القوم الخصم وإظهار نفاقهم المبطن بزعم خوفهم الفتنة!، وتركهم العمل بكتاب الله القرآن الكريم، لذا اشتمل على **(ست جُمَل /٦)**، منها **(ثلاث/٣)** قرآنيّات، والجُمَل هي: **(كَيْفَ** بِكُمْ؟)، و(﴿**أَنَّى** تُؤْفَكُوْنَ﴾؟)، و(أَ رَغَبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، **أَمْ** بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟)، و(﴿أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ﴾؟)، و(﴿وَ**مَنْ** أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ﴾؟)، و( أ فَلا تَعْلَمُونَ؟).

نلمح السيّدة الزهراء ﷺ قد وجّهت المقطع كلّه بمفردة **(هَيْهَات)** اسم فعل ماضٍ بمعنى **(بَعُد)** التي أفادت بدلالتها الأصيلة **(البُعْد)** المستمر من حيث إنّ **(بَعُد)** فعل ماضٍ مبني للمجهول، وبحسب وجوده في السياق مع قرينته يعطي دلالته إيجاباً للتعظيم، وكذا سلباً للتصغير، وهو معلوم عند الله تعالى والمعصوم المتمثّل بها ﷺ، وبهذا تكون (هَيْهَات) قد أدّت عملين، <u>الأول</u>؛ توجيه استفهامات المقطع كلّ بحسب وروده في سياقه. و<u>الثّاني</u>؛ صبغت كلّ استفهام دلالة خاصة به مجترحة من موضوعة الغرض الرئيس ومعنى فكرته السياقية نفسها التي تتكفّل إيصال رسالة حجاجها إلى الخصم، لذلك قالت: **(هَيْهَات مِنْكُمْ)**.

ففي الجملة الأولى استفهمت ﷺ بـ**(كَيْفَ)** تعجّباً وإنكاراً وتوبيخاً عن حال الجماعة **(بِكُمْ)** وهم في موقف الرضوخ والخنوع لرأس الشّيطان الخصم الظالم لها الذي يوقظ الفتن كآبائه السّابقين، وفتنهم السابقات واللاحقات باءت بالويل والثبور، ولم تفلح ورجع كيدهم إلى نحورهم. وعليه فإنّها ﷺ تريد أن تقول لهم، انظروا إلى أنفسكم **(كَيْفَ بِكُمْ؟)**، بأيّ حالٍ كنتم وكان آباؤكم ؟، والله ﷻ أنقذكم بأبي رسول الله ﷺ، وهو أعظم مَن خَلَق اللهُ وإنّه لَعَلى خُلُقٍ عظيم؟. لماذا تثيرون الفتن وتظلمون أنفسكم قبل ظلم العباد؟، أَلَا تتعظون وتكونون مسلمون حقّاً؟. لذلك أردفتها بالجملة الثّانية الحاملة للاستفهام القرآنيّ (﴿**أَنَّى تُؤْفَكُوْنَ**﴾)، الذي أسند دلالة استفهام الجملة الأولى **(كَيْفَ)**، لأَنَّ **(أَنَّى)** تحمل دلالتها نفسها وفي البرهة نفسها توسّع المعنى وتزيده طاقة في الإنكار والتوبيخ[١٢٦]، إلّا أنّ توظيفها القرآنيّ لها، لأنّها تختلف عن **(كَيْفَ)** من ناحيتين؛ (السّعة في أدائها المعنى، والقوة في الاستفهام، وبناؤها اللغويّ يوحي

بذلك، فالتّشديد الذي فيها والمدة الطويلة في آخرها يرجحان ذلك)[١٢٧]، والاستفهام بها يتجاوب مع مقام موقف الحِجاج، ويسوق فعل الخصم وقومه القبيح، ويجعلهم متجسّدين مصداقاً للقوم السابقين الذين شملهم الخطاب القرآنيّ بسبب بعدهم عن الحق ومحاولاتهم صرفه عن نصابه وأهله، وكأنّ الزهراء ﷺ تقول لهم: أنتم كالقوم السابقين فعلوا وعملوا وحاولوا أن يصرفوا الحقّ عن موضعه ولكنهم خابوا وفشلوا. ومِنْ ثَمَّ خصّصت ﷺ استفهاماً خاصّاً إنكاريّاً[١٢٨] توبيخياً تقريعياً، ولكن لا نرى فيه شيئاً من تعجب السيّدة الزهراء ﷺ، لأنّها كانت عالمة أنّ القوم أبناء آبائهم الذين ذكرت تأريخهم المماثل، من هنا أنكرت رافضةً موبّخةً إياهم، لا كما ذهبت الباحثة د.فاطمة إلى أنّه استفهام تعجب[١٢٩]، نعم ومتأثرة –ولكن بخلاف التعجّب– بابتعادهم عن كتاب الله القرآن وصرفهم إيّاه بأحكامه وشرعه تجاه الإفك والباطل عند جملته الثالثة، وجوابه معلوم عندها نتيجته في الأمور كلّها تثبت السّلب في بُعْدهم عن الله وأحكامه في كتابه القرآن الكريم، إذْ قالت: **(أَ رَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟)**، وهمزة التسوية **(أ)** بـ**(أَمْ)**، ساوت بين رغبة إرادة القوم في الإعراض عن كتاب الله تعالى أو حكمهم بغيره، وجوابهم مهما يكن النتيجة واحدة في تحقق مخالفتهم كتاب الله ونبذه وراء ظهورهم. لذلك عزّزت السيدة الزهراء الاستفهامات المتقدّمة باستفهامين قرآنيّين لتأكيد حِجَاجها على فعل الخصم وقومه، هما؛ (﴿أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ؟، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ﴾)، بـ**(الهمزة/أ)** للاستفهام الإنكاريّ، و**(مَنْ)** للنّفي والإنكار معاً[١٣٠]، اللذين حملا استفهام المقارنة بين قبح حكم الجاهلية، بل الأقبح الذي هم عليه داخلون في مصداقه القرآنيّ، وبين حكم الله الحكيم وهو أحسن حكماً للقوم الذين عندهم يقين وتسليم لله مطلق. لذلك جاء استفهام خاتمة المقطع بعد استفهام المقارنة الذي أعطاهم علم الفرق بين الحُكمين، ألا وهو خطاب استفهام حِجاجها لهم؛ **(أ فَلا تَعْلَمُونَ؟)**، بـ**(الهمزة/أ)** التي أعطت دلالة الإنكار والتوبيخ وإقرار التحقق، لما هم عليه من واقع ومتعجبة منكرة له لما هو متحقق الوقوع[١٣١]، إذ حمل هذا الاستفهام ذروة حجاجها القوم من حيث إنّها جعلت المستفهم عنه مفتوحاً –ومن ضمنه الاستفهامات السابقة داخلة فيه– أمام القوم لعظيم فعلهم القبيح الذي أعقبته أحداث ثلمت الإسلام وشوهت بيضته. لأنها أرادت القول للخصم عَبْر استفهام حِجاجها هذا؛ أفلا تعلمون أنّكم عصيتم الله؟، وتركتم كتابه ونبذتموه؟، وخاصمتموني ومنعتموني حقي وإرثي، وأنتم تعلمون أنّي فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، لذلك فهي في البدء قالت لهم : **(اعْلَمُوا أَنّي فَاطِمَة)**، لذا نلحظ جوابها المباشر بعد استفهامها **(أ فَلا تَعْلَمُونَ؟)** كان إثباتاً بـ**(بَلَى)**[١٣٢]، قائلة: **(بَلَى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ)**، أي: نعم تعلمون وتجلّى لكم ...

**<u>المقطع الاستفهاميّ (الثّاني)</u>:**

**((أَ أُغْلَبُ عَلَى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أ فِي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا﴾، أَ فَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ؟ (أ فعلى: أفادت التوبيخ بفعل عمدهم ترك الكتاب ونبذه)، إذْ يَقُولُ: {وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ}، ... وزَعَمْتُمْ أَلا حِظْوَةَ لِي، وَلا إرْثَ مِنْ أبي لا رَحِمَ بَيْنَنَا!))**.

تعالج موضوعة هذا المقطع فسق الخصم وفساده بتجاوزه حدود الله ﷻ بغصبه إرث السيّدة الزهراء ﷺ من أبيها رسول الله ﷺ، وتركه حكم كتاب الله تعالى على عمدٍ هو ومن معه ونبذوه وراء ظهورهم، فحوى **(ثلاث جُمَل/٣)** استفهامية، توحّدت بأداة واحدة **(الهمزة/أ)**، وهي: (أ أُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟)، (أ فِي كِتابِ اللّهِ أَنْ تَرِثَ أَباكَ، وِلَا أرِثَ أَبِي؟)، (أَ فَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ؟)، ونكتة توحيد جُمَل المقطع بأداة استفهام واحدة، لأنّهن متصلات بموضوعة خطاب مقام الحِجاج الحالي بشخص واحد هو الخصم قطب الظّلم **(ابْنَ أبي قُحافَة)**، المعني بخطابها أوّلاً وأخيراً وما بينهما، لكونه رأس الفتنة

كلّها، الذي أجمع القوم الذين معه لفعل ما فعل من أحداث لازمت استشهاد رسول الله ﷺ قبل الخطبة وبعدها. لذلك جاء الاستفهام في الثلاث كلّهن، إنكاريّاً وتوبيخيّاً متسلسلاً موجهّاً له في تثبيت إدانة فعله القبيح المتولّدة فيه وعلى إثْره أحداث جِسَام كانت سبباً في تشتت الأمّة الإسلاميّة وتمزّقها إلى يومنا هذا، من حيث إنكارها تعجباً عليه غصبه منها حقّها، والغلبة والتعدّي على إرثها، وهي ابنة رسول الله ﷺ وفي هذه الجملة الأولى؛ أدخلت ﷺ **(الهمزة/أ)** على فعل مضارع المبني للمجهول **(أُغْلَبُ)**[١٣٣]، لإفادته مجاراة الحدث الناتج من فعل الخصم وحمله استمرار الإنكار بوجهه المفتوح على ليل الزمن ونهاره. ومن حيث إنكارها تعطيله حكماً إلهيّاً في كتاب الله الكريم، وفي هذا الجملة الثّانية؛ جعلت **(الهمزة/أ)** مجاورة لشِبه الجملة من الجار والمجرور المتقدّم **(فِي كِتَابِ اللهِ)**، لتخصيص قصدية تأكيد المبالغة في الإنكار الإبطاليّ على الخصم بوجود آية في كتاب الله تمنعها إرثها[١٣٤]. ومن حيث إنكارها عناده وقصده وتعمده ترك كتاب الله ونبذه وراء ظهورهم، وافتراءه على رسول الله محمّد ﷺ أقوالاً مخالفة لأحكام الله وشرعه في كتابه العظيم لم يقلها، وفي هذا الجملة الثالثة: قرنت **(الهمزة/أ)** بجار ومجرور متصدّر بـ**(فاء)** السّببيّة؛ **(أَ فَعَلَى عَمْدٍ...)**، إذْ تناسبت مع سوق خطاب الحِجَاج في توجيهه للمُخَاطَب الخصم معلّلاً له أكثر وقعاً في نفسه[١٣٥]، ووصل الأمر بالخصم الظالم إلى أن يفضّل نفسه على رسول الله ﷺ، بأن يبرّر فعله ويرضاه لنفسه على حساب هتك حرمة الرسول والتجاوز على مقامه العظيم في زعمه قول مخالفة أحكام الله في كتابه القرآن الكريم.

**<u>المقطع الاستفهاميّ (الثّالث)</u>:**

**((أَ فَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ؟، أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟)).**

موضوع هذا المقطع تضمّ بين طيّاتها حِجاج الخصم بكتاب الله ﷻ وردّ قولهم في منعها إرثها، وكذا تفحمهم بجهلهم بخصوص القرآن وعمومه، بذكرها أبيها رسول الله محمّد ﷺ مدينة علم الله ﷻ، وابن عمّها بعلها الإمام عليّ ﷺ باب مدينة علم الله ﷻ. ويضمّ **(ثلاث جُمَل/٣)** استفهامية، هي: **(أَ فَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟)**، **(أَمْ) (هَلْ** تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ؟)، **(أَ** وَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟!، **أَمْ أَنْتُمْ** أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟).

ففي الجملة الأولى: جاءت **(الهمزة/أ)** دالة على إنكار إبطاليّ تعجّبي نافٍ لوجود آية تخصّ القوم بالإرث، وتخرج رسول الله أباها منه، والفاء معها لترتيب الاستخبار عن قولهم لا إرث لها، بعدها تلتها بـ**(أَمْ)** وهي منقطعة عن معنى المستفهم عنه في جملة الاستفهام السابقة لها ولها تأثير دلاليّ في اللاحقة بها، وعندها تكون دلالتها على الاضطراب وانتفاء اليقين، والانتقال إلى مطلب آخر، وتقارب معنى (بل)، إلّا أنّ المستفهم عنه الواقع بعدها يكون في موضع الظنّ والشّك فيه[١٣٦]، مع تأكيد السيّدة الزهراء ﷺ إنكارها ببطلان الاثنين معاً، وهو ما جعلها أن تستفهم عن مطلب آخر في الجملة الثّانية التالية بعد **(أَمْ)** بـ**(هَلْ** تَقُولُونَ...)، الداخلة على الفعل المضارع وهو من المستحسن عند العرب لإفادتها دلالة التصديق أو طلبه، لأنّها في الأصل بمعنى **(قَدْ)**، ودخولها على الفعل المضارع تخصّصه بالاستقبال[١٣٧]، وحجاج استفهامها ﷺ بجملة **(الهمزة/أ)** الإنكاري الإبطاليّ على الخصم وقومه، فيها إشارة إلى استفهام قرآنيّ عند قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾[١٣٨]، ثمّ تأتي الجملة الثالثة المتصدّرة بـ**(الهمزة/أ)** الموظّفة للتسوية بقرينة وجود **(أَمْ)** المعادلة التي تخفي النتيجة وإن كان عالماً المشئ إيّاها،

وتبقي الحُجّة قائمة[١٣٩]، فتسبب إرباك الخصم وتوتره واضطرابه، والهمزة جاءت المجاورة لـ(**واو**) العطف الداخلة على (**لَسْتُ/ ليس+تُ**)، إذْ أفادتِ التحقيق والإثبات والتقرير على أنها وأباها من أهل ملّة واحدة. وبعدها تأتي جملة معادلة (**أَمْ**) والتي تحاجج القوم بها على أنّهم ليسوا بأعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبيها رسول الله وابن عمّها الإمام عليّ (**صلّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا**)، والسيّدة الزهراء ﷺ أغلقت باب الحِجَاج أمام الخصم وقومه بذكرها الاحتمالات كلّها التي صاغتها في استفهاماتها الخاصّة بها، على سبيل إتمام حجّة صور الاحتمالات النّافية للإرث[١٤٠]. نلحظ أنّ (**الهمزة/أ**) لها قوة تأثير مسيطر على سياق جُمَل استفهامات المقطع كلّه، لموقعها المهم في مقام مراعاة موقف الحِجَاج مع الخصم الذي يتطلب المبالغة في الإنكار لاكتنازها قوة في الاستفهام، متأتٍّ من موقعها في صدارة الجملة واشتغالها الصّوتي في الوقت نفسه.

**المقطع الاستفهاميّ (الرّابع):**

**((يا مَعاشِرَ النَّقِيْبَة، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أبِي يَقُولُ: ((اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ))؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما اُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ!. أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟!...؛﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ﴾)).**

موضوعة هذا المقطع تقريع النَّقِيْبَة الذين كان عليهم حماية الدِّين ونصرة الإسلام، ولكنّهم تواطأوا مع الخصم الظّالم في منعها حقّها وإرثها ورضاهم بظلامتها وتقاعسوا عن قول الحق، وكانوا كالذي حلّ فيه نعاس النّوم وامتنعوا عن القيام مسرعين في ردّه إليها، وأصبحوا مصداق الذين انقلوا على أعقابهم بعد استشهاد أبيها الرسول الأكرم محمّد ﷺ، فاحتضن المقطع بين أهلته (**خمس جُمَل/٥**) استفهامية، منها (**واحدة/١**) قرآنيّة، والجُمَل هي: (**مَا** هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟)، (وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟)، (**أَمَا** كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أبِي يَقُولُ: ((اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ))؟)، (أَ تَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟!)، (﴿أَ فَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ﴾ ؟).

استفهمت ﷺ من قوم الخصم الظالم في الجملة الأولى والثانية بـ(**مَا**) عن شيئين طالبتهم بوصفهما لها، هما؛ (**الْغَمِيزَةُ**) في حقّها، و(**السِّنَةُ**) في ظلامتها، فسكوتهم ورضاهم عن الخصم بفعله القبيح مع علمهم أنّه غصبها إرثها عمداً وقصداً، وظلمها حقّها علناً جهاراً، لذلك أنكرت عليهم موقفهم المُخْذِل لها، ووبّختهم به عجباً على ما يعلمون من هي؟، وما مقامها من أبيها رسول الله محمّد ﷺ؟، ولقد أكّدت إنكارها وتوبيخها عندما وظّفت اسم الإشارة (**هَذِه**) مقحماً بين اسم الاستفهام (**مَا**) والمستفهم عنه. أما في الجملة الثالثة فلقد استفهمت بـ(**أَمَا**) المركّبة من (همزة/أ) الاستفهام و(**مَا**) النافية لتوكيد الحِجَاج، يؤتى بها لعرض المستفهم عنه وتقريره[١٤١]، وتحقّقه والإنكار والتوبيخ على المُخَاطَب لمخالفته العمل به، ودخولها على الفعل الماضي (**كان**)، أكّد نطقه على لسان رسول الله ﷺ، وازداد تأكيداً حِجَاجيّاً عندما وظّفت السيّدة الزهراء ﷺ الفعل المضارع (**يَقُولُ**) الدال على كثرة تكرار قوله ﷺ في حياته المباركة، والاستمرار والديمومة بلا انقطاع عن جريان حكمه بعد موته الذي استشهد فيه. وأما في الجملة الرابعة فقد استفهمت بـ(**الهمزة/أ**) إنكارياً لقولهم الآني بموت رسول الله ﷺ انتهى كلّ شيء لحظة خطابها إيّاهم بدلالة الفعل المضارع (**تَقُولُونَ**)، الذي يؤكّد تحققه وتقريره، وفي البرهة نفسها تأكيد توبيخها لهم على قولهم القبيح بحق رسول الله محمّد ﷺ، من هنا نراها عضّدت

استفهام حِجَاجها الإنكاريّ لهم باستفهام قرآنيّ حمل إنكاراً، وتوبيخ المُنقلبين لانقلابهم على أعقابهم بعد موته أو قتله عند استشهاده، لدى جملتها الخامسة، إذْ جاءت (**الهمزة/أ**) بدلالتها الإنكاريّة التوبيخيّة، داخلة على جملة الشرط وجوابها، لتدل على عظيم فعل الخصم وقومه الذين معه، وانقلابهم مرتدين كافرين بعدما كانوا مؤمنين، عقب استشهاد رسول الله أبيها ﷺ(١٤٢).

**المقطع الاستفهاميّ (الخامس):**

**((أ اُهْضَمُ تُراثَ أُبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! ... فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ؟، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإعْلانِ؟، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدامِ؟، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإيْمَانِ؟، ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَاؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ ؟ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِـ﴿نارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾. فَبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾؟))**.

موضوعة هذا المقطع مكمّلة للسّابق، ولكن الحِجَاج هنا موجّه إلى بني قَيْلَة(١٤٣)، وهو مشبع بالتّوبيخ والإنكار والرّفض لموقفهم غير المشرّف ضدّ نصرتها وأخذ حقّها من الخصم الظالم، وإثبات يقين تحقّق دخولهم نار الله الموقدة، بسبب فعلهم القبيح، إذْ راحوا فرحين في مساعدة الظالم على غصبها إرثها وسلبها حقّها، وطوى هذا المقطع بين أقواسه (**سبع جُمَل/٧**) استفهامية، منها (**اثنتان/٢**) قرآنيّتان، والجُمَل هي: (أ اُهْضَمُ تُراثَ أُبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟!)، (**فَأَنّى** جُرْتُمْ(١٤٤)بَعْدَ الْبَيانِ؟)، (وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإعْلانِ؟)، (وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدامِ؟)، (وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإيْمَانِ؟)، (﴿أَ تَخْشَوْهُمْ؟ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾)، (﴿..أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾؟).

نلحظ السيّدة الزهراء ﷺ في جملتها الأولى/ج١ قد استفهمت بـ(**الهمزة/أ**) وأدخلتها على الفعل المضارع المبني للمجهول (**أُهْضَمُ**) الذي وقع عليه إنكارها فعل الخصم عَبْر دلالته التي تعبّر عن أثر عمق الظلم الواقع عليها من الخصم وقومه وعمقه وكسرهم حقّها، لذا توبيخها إيّاهم على ما يرونه ويسمعون وهم مجتمعون، ولم يحركوا ساكناً في نصرتها، وتعجبها من موقف قوم الخصم لهضمها تراث أبيها وهم بمرأى ومسمع يتفرجون على حالها، ولكنّها نطقت بـ(**أُبِيَهْ**) بصيغة تصغير التعظيم المعبّر عن عظيم تعجبها من عظم فعل هضمها حقّها في الإرث، وضمّ أوّله يتجاوب مع دلالة فعل ظلم (**الهَضْم**)، وأسندته بـ(**هاء السَّكت**) التي زادت من قوة معنى الإنكار والتّوبيخ والتعجب. وفي الجملة الثانية جاء الاستفهام بأداة (**أَنَّى**) التي تكفّلت بحمل الاستفهام عن أربعة أشياء؛ هي: الأوّل/ج٢؛ (**جورهم على الحقّ، وميلهم عنه وتركهم سبيله بعد بيان كلّ شيء له**)، والثّاني/ج٣؛ (**أسررتم كلمة الحقّ والإيمان بعد إعلانكم عنهما في زمن أبي رسول الله ﷺ**)،والثّالث/ج٤؛ (**نكوصهم ورجوعهم إلى الخلف عن سبيل الحق وإسلام الله ورسوله، وتخلفهم عن محاربة أعداء الله بعد عهدهم ووعدهم بالإقدام في زمن حياة رسول الله أبيها ﷺ**)، والرّابع/ج٥؛

**(شركهم في اتباع الشيطان وأولياءه وأعداء الله بعد إيمان الذي كانوا عليه في زمن رسول الله أبيها ﷺ)**، وهذه أشياء جُمَل المستفهمات عنها الأربعة كلّها يجمعها معنى واحد، لذلك جمعتها السيّدة الزّهراء بأداة استفهام واحدة **(أَنَّى)** التي تتناسب بعدد دلالتها مع المشتركات الدلالية الموحّدة في سياق معنى واحد نفسه[١٤٥]، وجمعها كلّها **(الواو)** لأنّه أداة ربط من أهمّ الروابط الحِجَاجيّة لا في جمعه الحجج فحسب، بل في تعضيدها وتقويتها بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المقصودة، بكونه رابطاً حجاجيّاً مدعماً للحجج المتساوقة أو المتساندة[١٤٦]، زيادة على أَنَّ التّضعيف الصّوتي في بِنية **(أَنَّى)**، يجعلها قادرة على بثّ دلالتها الزّمانية والمكانية والحالية فيهن. فضلاً عن أنّها ﷺ جعلت هذه المستفهمات عنها في صوت حرف فاصلة متقارب هو؛ **(ن + ن + م + ن)**، لما لها أهمية في مركز خطابها الحِجاجيّ. وفي جملتها السّادسة/ج٦، عضّدت اهتمامها لأشياء مستفهمات الجُمَل السّابقة، وقوّت حجيّة إثباتها استفهاميّاً بإسنادها إلى آية قرآنيّة، هم مصداقها، وفي البرهة نفسها مسوقة بتأكيد تقريعها وتوبيخها إيّاهم باستفهامها القرآنيّ، عند قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَاؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ **أَ تَخْشَوْنَهُمْ؟**، فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فالسيّدة الزهراء ﷺ بالخطاب القرآنيّ تقول للقوم الذين صفّوا أقدامهم مع الخصم الظالم وقومه؛ أنتم أوّل مَن بدأتم، ونكثتم عهدكم ووعدكم بعد أقسام ومواثقكم مع رسول الله ﷺ في حياته وبعدها، كما فعلوا هم ووصل بهم التّطاول إلى أن همّوا بإخراجه، وكرّروا الأمر معي ومع ووصيه وخليفته، وأنا ابنته وأنتم تعلمون مقامي أنا وابن عمّي عند الله ورسوله، **(أَ تَخْشَوْنَهُمْ؟**، فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)، لم تجد السيّدة ﷺ بُدّاً إلّا أن تجعلهم في بوتقة المصداق الأمثل للآية المباركة التي شملت هذا الاستفهام المتصدر بـ**(الهمزة/أ)** التي حملة دلالته على تقرير تحقّق خشيتهم أعداء ورسوله وإنكارها عليهم، لأنّ الله هو وحده أحقّ بها، ولكنّهم لم يكن إيمانهم صادقاً منذ بداية البداية لذلك انقلبوا، ووبّخهم على طاعتهم للخصم وقومه، ونهاهم عن خشيتهم. لذلك استشرفت قرآنيّاً ﷺ عاقبتهم جميعاً التي هي عاقبة الظّالمين الذين ظلموا أهل البيت ﷺ على مرّ العصور، عند استدلالها بالاستفهام القرآنيّ لدى جملتها السّابعة/ج٧، الذي عزّز حِجاجها، وزاده إقناعاً في خطابه المصداقيّ؛ إذْ قال ﷻ: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ؟﴾، فـ**(أَيّ)**؛ مع دلالة **(السّين)** المصدّر بها فعل المضارع (يعلمُ)، جعلت طابع دلالتها تقرير تحقّق عقاب الظّالمين المنتظر في المستقبل القريب والمتوسط الذي لا رجعة فيه، والتنبيه إلى أنّ الله شديد العقاب، ومتحقّق يوم وعيده، ثمّ إنّ إضافة **(أَيّ)** بموقعها الإعرابيّ مفعول مطلق إلى **(مُنْقَلَبٍ)** بتنوين الكسر زيادة شدة الانقلاب وجعله مفتوحاً أمام المتلقي غير محدد في أبواب العموم والشمول، فضلاً عن أنّه أي: **(مُنْقَلَب)**، صفة مصدر محذوف والعامل فيه ينقلون، وتقديره: سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلاباً أيَّ انقلابٍ، وهذا يدلّ على دقة انتقاء السيّدة الزهراء ﷺ لآيات استدلالها الحِجَاجيّ.

**المقطع الاستفهاميّ (السّادس):**

**((سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ عَنْ كِتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَ فَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اْعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ ؟؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ، مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها﴾؟)).**

موضوعة هذا المقطع تتكفّل بتنزيه أبيها رسول الله محمّد ﷺ النابع من تنزيه من الله ﷻ ومتصل به، فلم يكن صادفاً عن كتاب الله ﷻ ولا لأحكامه مخالفاً، بدلالة القرينة اللفظية المتقدّمة **(سُبْحانَ اللهِ!)** التي ابتدأت بها السيّدة الزهراء ﷺ المقطع، وفي الوقت نفسه تَعْجَب ﷺ من عزّتهم بالإثم واجتماعهم على الغدر برسالته وإسلام الله الحنيف، وادعائهم بأحكامٍ لم تكن موجودة في كتاب الله القرآن العظيم، وبكلامٍ لم يقله ويتحدّث فيه نسبوه إليه زوراً، ولكنّها واجهتهم بحقيقتهم التي كانوا عليها في حياته ﷺ ببغيهم عليه، أباستشهاده لا يسرعون إلى الخصم الباطل والقول باسمه زوراً؟!، وكانت نتيجة موقفهم هذا أبصارهم مغضية عن الفعل القبيح الخاسر الصّادر من الخصم وقومه وهم منهم، ومغضية كذلك عن نصرة الحقّ وأهله، لقد تضمّن هذا المقطع **(جملتين/٢)** استفهاميّتين، **(إحداهما/١)** قرآنيّة، وهما: (أَ فَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ ؟)، (﴿أَ فَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها﴾؟).

فجملته الأولى استهلت بـ**(الهمزة/أ)** المقحم بينها وبين فعلها المضارع **(الفاء)** العاطفة على محذوف مقدّر، ويضمّ معنى عميقاً للطغيان والظّلم الذي كانوا عليه الخصم وقومه، وهو ما يدلّ عليه الفعل (تجمعون)، وينبئ باستمرار حقدهم وظلمهم وغدرهم لآل بيت الرسول محمّد ﷺ، واللاوفاء منهم للرسول الأكرم بعد موته الذي استشهد فيه، وزادوا زور كذبهم اعتلالاً في كل حال من أحوالهم، التي كانوا يقدّمون العذر والسّبب لتبرير أفعالهم، وادعاء صحّة أعمالهم، من حيث هتكهم مقام الرسول الأكرم، وتعدّيهم الحدود الشّرعية، وتركهم الأحكام الإلهيّة في كتاب الله القرآن الكريم، وغصبهم الخلافة بافتراء الشورى، وأخذهم إرثها من فدك وغيرها. من هنا قصدت السيّدة الزهراء استفهامها بـ**(الهمزة/أ)**، لأنّ قوّة دلالة الهمز وشدّة مخرجها القطعيّ الصّوتي، تتجاوب مع مقام حِجَاجها في الإنكار عليهم، وتوبيخهم، والتعجّب من تحوّلهم وانقلابهم[١٤٧]، وهو معلوم عندها، ولكنها ﷺ أرادت بيانه وكشفه للتأريخ كلّه وحتى يوم الدّين. وبعده أشفعته باستفهام قرآنيّ جعلته الخاتم لوصف واقع إعراض الخصم وقومه، وتصوير ابتعادهم عن تدبّر القرآن، لدى قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أَمْ عَلَى قُلوبٍ أَقْفالُها﴾، إذْ افتتح بـ**(الهمزة/أ)** التي اشتغلت على بثّ دلالة إنكار إعراض، وتوبيخهم على ترك التّدبّر، بسبب سيئات أفعالهم القبيحة وذنوب أعمالهم السّيئة، حيثُ تجسّدت أقفالاً على قلوبهم، وأغلقت أبواب التدبّر فيه أمام عقولهم، لذلك قيل: إنّ **(أَمْ)** منقطعة بمعنى (بَلْ)، التي تفيد معنى الإضراب، والهمزة بعدها في المقام تأكيد حِجَاج الاستفهام الإنكاري التوبيخي الذي اشتغلت عليه همزة الجملة المتقدّمة، نلمح أنّ تنكير (قُلُوب) هؤلاء بتنوين الكسر، ومَن كان مثلهم مصداقاً لها، تكون قلوباً مُنكرة، وأفئدةً مُحقّرة، لأنّها قلوبٌ غير متدبرة للقرآن الحكيم، فكانوا بمنزلة الجهلاء الذين على الرّغم من علمهم به إلّا أنّهم تركوا العمل بأحكامه الأصولية والفرعية[١٤٨].

تبيّن لنا في ضوء العرض النّقدي للاستفهام، أنّ الجملة الاستفهاميّة كلّها، ببِنيتها وتركيبها لها الأثر الجليّ المُبين في تكوين الخطاب الحِجَاجي، فلا يقتصر الاشتغال على الأداة الاستفهامية فحسب، فضلاً عن أنّ معالجة العرض للاستفهام الحِجَاجيّ لابدّ

من أن يكون تراتبياً بحسب وروده في الخطاب، بلحاظ قصدية المنشئ الواعية لها تخطيطها الإقناعيّ في إلقاء خطاب حِجَاجها، فكيف بها وهي سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين مولاتنا فاطمة الزّهراء ﷺ ؟، وبخاصّة أنّها كشفت عقلية المُخَاطَبين الخصم وقومه، هي نفسها عقلية السّابقين في زمن حياة أبيها رسول الله ﷺ التي أثبتها القرآن الكريم وأكّدها، واستدلت بها عليهم في أقوال اطلاقها مقدّمات حِجاجها، وكذا في محتواه جلّه، وصولاً إلى استفهامات مقاطعها الحِجاجية، وهو من أبرز الدلائل على قوة محاجة القرآن العظيم، لما له من طريقةٍ خاصّةٍ في إقامة الحُجّة والبرهان، وأسلوبه المتماسك في بناء الاستدلال[١٤٩].

## ٤ –<u>الخاتمة</u>:

إنّ تشكّلات أُطر مكوّنات خطاب السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ، متبلورة على وفق الأحداث الدائرة في محيط مناسبة خطبتها الفدكيّة، والمتزامنة مع غصب الخصم الظّالم إرثها ﷺ بزعمه أنّ أولاد الأنبياء لا ميراث لهم، من حيث التي قَبْلها في هتك الخصم ومَن معه مقام **(النّبوة)**، بادّعائه أنّه ﷺ **(يَهْجر)** وحاشا له ذلك، والمتداخلة في أحداث الإمامة القريبة في تقمّصه الخلافة ببدعة **(الشُّورى)**، ففي خضم هذه التداعيات أصبحت **(فَدَك)** الباب الرئيسة لبناء مكوّنات خطابها ﷺ، وهيكلته ورسم ملامحها الحِجَاجيّة، وآفاق اشتغال علاقاتها الأُسلوبيّة، وفيها تجترح القراءة أهمّ ما رصدته عَبْر محطّات إجراءاتها النّقديّة، يتجسّد في النّقاط الآتيات:

أ– إنّ ارتباط أحداث وَقْعة دفاع السيّدة الزّهراء ﷺ عن مقام النّبوة وخلافة الإمامة الإلهيّة، وحقوق ميراثها بـ**(أرض فَدَك)** مع الخصم الظّالم، كان من العوامل الرئيسة الأساس في خلود الخُطبة التأريخيّ وما حوتْه مضامين خاصّة وعامّة، إذْ حفظتها كلّها من الاندثار والضياع والانطماس، فأفشلت مخطّطات الخصم الظّالم كلّها وأتباعه الذين لحقوا به، من تشويه حقيقتها، وتزوير أحداثها، وتحريف وَقْعتها.

ب– ألمحت القراءة عبقرية السيّدة الزهراء ﷺ في دقّة هندسة **(ديباجة)** خطابها الفدكيّ، وحذاقة تطريز بِنيتها –وكذا في سائر خطابها كلّه–، بدءاً باستهلالها بحمد الله وشكره وثنائه، وذكر نعمه وآلائه وعَبْر تقسيم فاصلاتها الثّلاثيّ ورويها الصّوتيّ، وانتهاءً بعددها إذْ بغلت **(اثنتي عشرة/١٢)** فاصلة، مع ما شكّله الصّوت السّابق لكلّ روي في كشف أسرار ما أرادته ﷺ، انصهاراً في بُعْدها داخل حركتها الحِجاجيّة، وتماسك أواصر علاقاتها الأُسلوبيّة.

ت– إنّ ألفاظ الخطاب ومفرداته في بُعْدها الوظيفيّ متجاوبة متراتبة سياقيّاً، ومتناغمة مقاميّاً، ومتفاعلة معنويّاً، ومتناسبة دلاليّاً، إذْ من غير الممكن لأيّ مُتلقٍّ التّصرّف باستبدال مفردة بدل أخرى، إلّا ويلحظ جَليّاً انكسار المعنى الغائيّ الذي قصدته السيّدة الزهراء ﷺ من وراء توظيفها إياه، وهذا ما ألمحته القراءة سرّاً من أسرار قوّة خطابها الفَدَكيّ.

ث– إنّ الآخر بأصنافه كلّها هو الدافع القطب الراكز عند السيّدة الزهراء ﷺ وراء إلقاء خطابها برمته، لذلك رسمت ملامحه بمنتهى الاتقان، وشخّصته وعلاقاته بحصافة تامّة، لأهميته في تعضيد وظيفة الرسالة الحِجاجيّة وتقويتها، فضلاً عن توثيق سيرته السابقة واللاحقة وما بعدهما المتصلة بمواقفه التأريخية وأحداثها في الأصعدة كلها، التي يحرّكها النسق العقديّ المضمر والظاهر معاً. وهذا بدوره الوجوديّ وراء بيان انتسابها وانتمائها إلى ﷺ **(الآخر الرّحمانيّ في حزب الله)**،

وتعرية **(الآخر في حزب الشّيطان)** الخصم الظّالم وكشف حقيقة علاقة ارتباطه، وتوثيق صدق حجّيتها، وحفظ حقوق مقام النّبوة وخلافة الإمامة وميراثها الإلهيّ، تجاه آفاق الزّمن الآنيّ والمستقبل القريب والمتوسط والبعيد وحتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

ج- الأثر القرآنيّ في خطابها ومكوّناته تجليٌّ مُبينٌ، مكتنزٌ به تلقّيها لعلوم القرآن العظيم وثقافته، من حيث **(الامتثال)** في اتباع منهج أسلوب خطابه الإلهيّ، وانتقائها ناهلة ألفاظه ومفرداته ومعانيها ودلالاتها؛-عبارةً وإشارةً ولطائفَ وحقائقَ-؛ والتزامها أحكام الله ﷻ وشرعه الشريف ومبادئ دِيْنه الحنيف، ومن حيث **(الاستدلال)** بآياته المحكمات بوجه الخصم الظالم، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على قرب اتصالها الإلهيّ، وعلى عمق ارتباطها القرآنيّ، ولا عجب فهي حجّة الله الكُبرى ومشكاة نوره وقرآنه النّاطق.

ح- كوّن تكرار المفردات المفاتيح بأسراره التي أودعتها السيّدة الزهراء ﷺ في خطابها، ملمحاً راكزاً في بِنية أسلوبية حِجاجها، إذْ كان ذوبانها بالذّات الإلهيّة المقدّسة **(الله ﷻ)** له الوقع اللافت الخاص، الذي جعل تكرار ذكره ﷻ يأخذ طابع الغَلَبَة في خطابها الفَدَكيّ كلّه، الدّال على ارتباطها العميق واتصالها الوثيق بالله ﷻ، ومِنْ ثَمَّ يجيء تكرار ذكر أبيها الرسول الأعظم محمّد ﷺ إذْ أرادت في خلاله إثبات حقّها الإلهيّ النّسبيّ إلى أبيها رسول الله ﷺ بمفردة **(أَبِي)**، ومِنْ ثَمَّ يأتي تكرار مفردة **(كتاب الله)** ﷻ المُثبت توثيق وجود قرآن الله مكتوباً كما نزل في حياة أبيها رسول الله محمّد ﷺ، وأنّه تركه وعترته أهل بيته ﷺ مدوّناً في المسلمين، وبعده تكرّر ذكر ابن عمّها بعلها الإمام عليّ ﷺ، فقصدت بتكرار **(ابن عمّي)** في خطابها الفَدَكيّ، أنّها لم تخرج للمطالبة بـ**(فَدَك)** وحقوق إرثها فحسب، بل لإثبات حقّ خلافة إمامته الإلهيّة، عَبْر إسناد حُجّتها الخاصّة بابن عمّها الإمام الإلهيّ ﷺ إلى علمه بـ**(خصوص القرآن وعمومه)**، على الخصم الظّالم المتقمّص.

خ- يحتل أسلوب الاستفهام في خطاب حِجاج السيّدة الزهراء ﷺ بناءه كلّه، فكان قطبه الأساس وعصبه الأصل ووتده الرئيس، المستوحى من مرجعيات ثقافتها القرآنية المنصهرة اندماجاً فيه ظاهراً وباطناً وسطحاً وعمقاً، حيث تَشَكّل بمقاطع استفهامية كلّه، ولكلّ مقطع استفهاميّ له طابعه في وظيفة حركته الحِجاجية، الذي قصدته السيدة الزهراء ﷺ بحسب أدواته واشتغالها وتأثيرها على دلالات المقطع كلّه. وهو ما يدلّ على علم يقينها ومعرفتها الدقيقة بأهميته ووظيفته واشتغاله وفائدته في كشف الخصم الظالم وتعريته في مقام حِجاجها، وما يشكّله من قرع لزعمه وادّعائه، وما يقوم به حِجاج الاستفهام من تحوّلات صادمة للقناعات وتغييرها حالياً وآنياً ومستقبلياً، وكذا في إظهار المخبوء عند الخصم على حقيقته، وتغيير مسار نسقه المضمر، وهذا كلّه هو ما وجدته القراءة في أثناء معالجتها، إذْ يعطي دلالة بيّنة جليّة على علمها ﷺ فنّه وخصائصه، من حيث تكثيفه الدلاليّ، واقتصاده اللّغويّ، واختزاله الأُسلوبيّ وتردّده الصّوتيّ.

وفي نهاية النّهاية نُبدي قولتنا في خطاب السيّدة الزهراء ﷺ وأدب خطبتها العصماء، وهي أنّ المُتلقّي المُختصّ بمستوياته العلمية وطبقاته المعرفيّة كلّها في لحظة مباشرته قراءتها الأُولى وما بعدها، يلمح ويلمس في الوقت نفسه القوة المعنوية الهائلة لمعاني ألفاظه، ودلالاتها المقاميّة والسّياقية المشحون بها خطابها ﷺ، بما يكتنز فيه من قوة بلاغيّة دافعة لا تُجارى، وبما ينماز به من لغة متأصّلة جاذبة، بمرجعية عِلْمها اللدنيّ في مدرستها المُحمّديّة العَلويّة، وثقافتها العميقة القرآنيّة، التي تُدْهش البليغ الحَصِيْف،

وتُصْدم اللّغويّ الثَّقِيْف، وكلّما تأمّل فيه يبدو له شيئاً جديداً!، لأنّه خِطابٌ يُواجه العصر وزمنه اللامتناهي، ثابتٌ بقيمه الإلهيّة، وبمبادئه السّماويّة، وبأحكامه القرآنيّة، متغيّرٌ بتحدّيه المتغيرات الطارئة التي وُلِد في رحمها لمقارعة الظّلم ونكرانه ومحاربته، مع تغيّر المجتمعات الإنسانيّة في الأزمنة كلّها، والمُتتبع له يجد السّابرين غورَهُ، والسّائرين دربَهُ، والنّاهلين بُحورَهُ، والمُقْتَنِين جَواهرَهُ ودُررَهُ، من العلماء والفقهاء والمناطقة والأدباء والفلاسفة والشّعراء ناهيك عن الفصحاء والبلغاء.

**وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمَيْنَ**

# Components of discourse of Lady Zahraa (pbuh) in her Speech of Fadak: a reading in its critical structure and stylistic relations

**Dr. Haider Mahmood Shakir Al-Judie (Lecturer)**

***University of Karbala/College of Islamic Sciences/ Dept. of Fiqh**

**Abstract:**

This reading is framed based on the components of the argumentative discourse of Lady Zahra (PBUH) regarding her Sermon of Fadak, as her sermon is the sermon of Allah (SWT); all of the components are pre-planned & aimed at unerring meanings. So, the present reading starts by presenting her literary legacy and what peculates it from the other literary productions, then highlights the speech & its circumstances all the way through the architecture of the speech itself and its relation to the Argumentative Discourse in general & the Reception of Holy Quran in particular.

The reading is divided into two parts, the Conformal part like the Qur'anic overtures & the functions of its components & the relation between the linguistic images and their meanings, and the Constructive part like the direct meaning of the holy verses of Qur'an, their argumentative peculiarities & finally the lady's references to the asymmetry between her sermon and the sermon of Nahjul Balagha. At last, the present reading sheds lights on the reduplication of some key words and their argumentative function inside the Lady's poem within her Fadak speech, like the repetition of the word "Allah", "my father", and "my cousin" "The book of Allah".

The components of the argumentative discourse of the Lady's sermon are presented according to their relations to the frequency of their use and meaning in relation to the connection between the lady and the hearers.

**الهوامش:**

١- اعتمدت القراءة نصّ الخطبة المباركة الموثق في (الاحتجاج) للعلامة الطبرسيّ: ج١/٢٥٣-٢٨٤، وهو من علماء القرن السّادس الهجريّ، واستندت إلى طبعته المصحّحة المحقّقة، عمل على تحقيقها إبراهيم البهادريّ ومحمّد هادي بِه، وأشرف عليها العلامة المحقّق الشّيخ جعفر السّبحانيّ، إذْ أوردنا بيانات نشره في قائمة مصادر القراءة ومراجعها.

[٢]- المعجم الوسيط: باب الخاء.

[٣]- أساس البلاغة: للزمخشري: مادة (خطب): ١١٧/١.

[٤]- العين : باب (الخاء والطاء والميم).

[٥] – عندما نتواصل نغيّر –مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحِجاج-: عبد السلام عشير: ٢٥ وما بعدها.

[٦] – ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: محمّد العمري: ٨٨. وينظر: الحِجاج في خطابات النّبي إبراهيم عليه السلام: سعدية لكحل (رسالة): ٢٠ وما بعدها.

[٧] – ينظر: النّص الحِجاجيّ العربيّ –دراسة في وسائل الإقناع-: محمّد العبد (بحث): ٤٧ وما بعدها.

[٨] – ينظر: تأريخ نظريات الحِجاج: فيليب بروتون وزميله: ٣٢. وينظر: الحِجاج في البلاغة المعاصرة: محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة: ٣٦ و١٠١و٢٠٩.

[٩] – ينظر: العوامل الحِجاجيّة في اللغة العربية: عزّ الدين الناجح (رسالة): ١١ وما بعدها.

[١٠]- النّجم: ٣-٤.

[١١] – سيمياء الصورة العنوانيّة: د.حمد محمود الدُّوخي (بحث): ١٤٧.

[١٢] – ينظر: السيميائيات والتأويل: سعيد بنكَراد: ٨٢.

[١٣] – ينظر: الحِجاج بين النّظرية والأسلوب: بتريك شاوردو: ٢١.

[١٤] – البقرة: ١٢٤.

[١٥] – النّجم: ٣-٤.

[١٦] – صورة الآخر في الخطاب القرآنيّ –دراسة نقديّة جماليّة- بالتّصرف: د.حسين عبيد الشمريّ: ٤١ وما بعدها.

[١٧] – ينظر: النّظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: محمّد طروس: ١٤.

[١٨] – ينظر: الحِجاج والمغالطة –من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار-: رشيد الراضي: ١٨. وينظر: الحِجاج في النّص القرآنيّ –سورة الأنبياء أنموذجاً-: إيمان درنوني (رسالة): ١٤٦. وينظر: الحِجاج في خطابات النّبي إبراهيم عليه السلام: سعدية لكحل (رسالة): ٦٣ وما بعدها و١٠٢.

[١٩] – مسند أحمد بن حنبل: ١٨/٣.

[٢٠] – آل عمران: ٦١.

[٢١] – ينظر: صورة الآخر في الخطاب القرآنيّ: ١٣١ وما بعدها.

[٢٢] – مريم: ٢٧.

[٢٣] – ينظر: صورة الآخر في الخطاب القرآنيّ: ١٩٢ وما بعدها.

[٢٤] – آل عمران: ١٧٥.

[٢٥] – أنفسهما.

[٢٦] – فاتحة الحمد: ١-٧.

[٢٧] – تُنظر: آيات السّور: الأنعام:١، والأعراف:٤٣، ويونس:١٠، وإبراهيم:٣٩، والنّحل:٧٥، والإسراء:١١١، والكهف:١، والمؤمنون:٢٨، والنّمل:١٥-٥٩-٩٣، والعنكبوت:٦٣، ولقمان:٢٥، وسبأ:١، وفاطر:١-٣٤، والزّمر:٢٩-٧٤-٧٥، غافر:٦٥.

[٢٨] – تُنظر: آيات السّور: النّساء:٦٩-٧٢، المائدة:٢٣، مريم:٥٨، الأحزاب:٣٧.

[٢٩] – النّساء: ٦٩-٧٢.

[٣٠] – إبراهيم: ٧.

[٣١] – الرّعد: ٢٨.

[٣٢] – الأنعام: ١٠٣.

[٣٣] النجم: ١-١٨.

[٣٤] – الأحزاب: ٥٦.

[٣٥] – صحيح البخاري: ٤٩٠/٤، وصحيح مسلم: ٨٩/١١.

[٣٦] – مسند أحمد بن حنبل: ١٨/٣.

[٣٧] – ينظر: تاج العروس مادة (صفو)، وينظر أيضاً: لسان العرب: مادة (صفا).

[٣٨] – الأحزاب: ٣٣.

[٣٩] – تنظر: آيات السّور: البقرة: ١٣٢–٢٤٧، وآل عمران: ٣٣–٤٢، والنّمل: ٥٩، والصّافّات: ١٥٣.

[٤٠] – تنظر: آيات السّور: البقرة: ١٢٠، وآل عمران: ١٦٢–١٧٤، والمائدة: ١٦–١١٩، والتّوبة: ٩٦–١٠٠، والفتح: ١٨، والمجادلة: ٢٢، والبيّنة: ٨، والنّساء: ١٠٨، والزّمر: ٧، والليل: ٢١، وطه: ١٣٠، والحديد: ٢٧، ومحمّد ﷺ: ٢٨.

[٤١] – آل عمران: ١٦١–١٦٢.

[٤٢] – الفتح: ١٨.

[٤٣] – سورة محمّد ﷺ: ٢٨.

[٤٤] – البقرة: ٢٤٨.

[٤٥] – هود: ٨٦.

[٤٦] – هود: ١١٦.

[٤٧] – الأعراف: ٦٩.

[٤٨] – نفسها: ٧٤.

[٤٩] – الرّحمن: ١٣. وتُنظر في آياتها: ١٦–١٨–٢١–٢٣–٢٥–٢٨–٣٠–٣٢–٣٤–٣٦–٣٨–٤٠–٤٢–٤٥–٤٧–٤٩–٥١–٥٣–٥٥–٥٧–٥٩–٦١–٦٣–٦٥–٦٧–٦٩–٧١–٧٣–٧٥–٧٧.

[٥٠] – النّجم: ٥٥.

[٥١] – الواقعة: ٧٤–٨٠، وتنظر: الصّافّات: ٤٩ والطُّور: ٢٤.

[٥٢] – الأحزاب: ٣٣.

[٥٣] – الكهف: ١٤.

[٥٤] – الجنّ: ٤.

[٥٥] – النُّور: ٣٦.

[٥٦] – البقرة: ٢٥٤–٢٥٥.

[٥٧] – ينظر: التّداولية والحِجاج –مدخل ونصوص–: صابر الحباشة: ٧ و١٦.

[٥٨] – النّور: ٣٥.

[٥٩] – بحار الأنوار للمجلسيّ:٣٤/٢٧.

[٦٠] – ينظر: أساس البلاغة للزمخشري: كتاب الحاء؛ مادة (حسك).

[٦١] – الأعراف: ١٧٥–١٧٨.

[٦٢] – ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار: باب الخاء مع الميم: ٣٠٠/١.

[٦٣] – ينظر: نفسه: باب الفاء مع النّون: ٩٦/٣.

[٦٤] – ينظر: كامل الزيارات: لأبي القاسم جعفر بن قولويه القُمّيّ (ت ٣٦٨ هـ)–زيارة عاشوراء–: ١٨٤.

[٦٥] – الصّافّات: ٦٥.

[٦٦] – ينظر: الكشّاف: ٥/ ٢١٣. وينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ٢٦/ ١٤٢. وينظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٩/ ٣١٦.

[٦٧] – ينظر: أساليب البيان في القرآن: للسيّد جعفر الحُسينيّ: ٢٧٦.

[٦٨] – الأحزاب: ٣٣.

[٦٩] – كشف الغمة: لأبي الحسن عليّ بن عيسى الإربليّ (ت ق٧): ١٧٠/١.

[٧٠] – آل عمران: ١٧٥.

[٧١] – ينظر: المعجم الوسيط: باب النون؛ مادة (نهض).

[٧٢] – ينظر: تاج العروس: باب الشين؛ مادة (حمش).

[٧٣] – ينظر: نفسه: باب الفاء؛ مادة (ألف)، وينظر: أساس البلاغة: كتاب الهمزة؛ مادة (ألف).

[٧٤] – النّساء: ٣٨.

[٧٥] – جامع دواوين الشعر العربيّ على مرّ العصور: قصيدة ذات ع/ ١٥٥١٩: ٣٢/١٢.

[٧٦] – صحيح البخاري: الحديث ذو ع/٣١٠٤: ٢٠٢/١١.

[٧٧] – مفرد (شَقَاشِق)؛ (الشِّقْشِقَة): وهي شيء كالرئة جلدة حمراء يخرجها الجمل من جوفه إذا هاج وهدر، ينفخ فيها فتظهر من شِدْقِه ولا تكون إلّا للجمل العربيّ، ويقال: هدرت شقشقة فلان ثار أو أفصح في كلام، وهو ما قاله الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام عقب خطبته (الشِّقْشِقِيَّة) عندما ((قال له ابن عبّاس رحمة الله عليه: يا أمير المؤمنين، لو اطَّردتْ مقالتُكَ من حيثُ أفضيتَ! فقال عليه السلام: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عبَّاس! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ))، ويقال: (شقشقة هدرت ثمّ قرّت) ضجّة أو فتنة ثارت ثمّ هدأت، ويقال: في تشبيه الفصيح المِنْطِيق بالفحل الهادر ولِسانه بشِقْشِقَتِهِ ونُسبتْ إلى الشَّيطان لِمَا يدخل فيه من الكذب والباطل وكونِه لا يُبالي بما قال، ويقال: فلان شقشقة قومه زعيمهم المتحدث عنهم. ينظر: المعجم الوسيط: باب الشّين؛ مادة (الشقشقة). وينظر: لسان العرب: باب الشّين؛ مادة (شقق).

[٧٨] – تنظر: آيات السّور: البقرة:١٠٢، والأنعام: ٧١–١١٢–١٢١، والأعراف: ٢٧–١٥٣، والإسراء: ٢٧، ومريم: ٨٣، والأنبياء:٨٢، والمؤمنون: ٩٧، والشّعراء: ٢١٠–٢٢١، والصّافّات: ٦٥.

[٧٩] – الأنعام: ١١٢.

[٨٠] – نفسها: ١٢١.

[٨١] – صحيح البخاري: ٤٩٠/٤، وصحيح مسلم: ٨٩/١١.

[٨٢] – مسند أحمد بن حنبل: ١٨/٣.

[٨٣] – ينظر: الاحتجاج العقليّ والمعنى البلاغيّ –دراسة وصفيّة–(رسالة): ناصر بن دخيل الله السّعيديّ: ٣٢ وما بعدها.

[٨٤] – آل عمران: ١٠٢.

[٨٥] – فاطر: ٢٨.

[٨٦] – الأنفال: ٢٦.

[٨٧] – المائدة: ٦٤.

[٨٨] – التّوبة: ٤٩.

[٨٩] – الأنعام: ٩٥. ووردت في آيات سور ثلاث؛ يونس: ٣٤، وفاطر: ٣، وغافر: ٦٢.

[٩٠] – الكهف: ٥٠.

[٩١] – آل عمران: ٨٥.

[٩٢] – المائدة: ٥٠.

[٩٣] – مريم: ٢٧.

[٩٤] – النّمل: ١٦.

[٩٥] – آل عمران: ٣٨.

[٩٦] – الأنفال: ٧٥، والأحزاب: ٦.

[٩٧] – النّساء: ٦.

[٩٨] – البقرة: ١٨٠.

[٩٩] – الأنعام: ٦٧.

[١٠٠] – هود:٣٩، والزّمر: ٤٠.

[١٠١] – آل عمران: ١٤٤.

[١٠٢] – التّوبة: ١٨٨.

[١٠٣] – الهمزة: ٦–٧.

[١٠٤] – الشّعراء: ٢٢٧.

[١٠٥] – هود: ١٢١–١٢٢.

[١٠٦] – يوسف: ١٨.

[١٠٧] – غافر: ٧٨.

[١٠٨] – المطفّفين: ١٤.

[١٠٩] – سورة محمّد: ٢٤.

[١١٠] – إبراهيم: ٨.

[١١١] – ينظر: أدب فاطمة الزّهراء ﷺ: ٦٩.

[١١٢] – ينظر: الإقناع في الخطاب القرآنيّ: هشام بلخير (رسالة): ١٣٦ وما بعدها. و ينظر: الحِجاج في النّص القرآنيّ –سورة الأنبياء أنموذجاً–: إيمان درنوني (رسالة): ١٦٠.

[١١٣] – ينظر: التّداولية والحِجاج –مدخل ونصوص–: صابر الحباشة: ٥٠.

[١١٤] – ينظر: النّص الحِجاجيّ العربيّ –دراسة في وسائل الإقناع–: محمّد العبد (بحث): ٦٢ وما بعدها. وينظر: استبار التّكرار، استبار التّلقي تكرار التراكم: أ.د.عبد الكريم راضي جعفر: ٩٠.

[١١٥] – ينظر: فاعلية التّكرار في بِنية الخطاب الشّعريّ: عبد الفتاح يوسف (بحث): ٣٠ و٤٤.

[١١٦] – النّجم: ٣–٥.

[١١٧] – الآحاد والمثاني: للشّيبانيّ: حديث ذو العدد –٦١–: ٩١/١. وينظر: تأريخ دمشق: ٢٦٩/٥٨. وينظر: تأريخ اليعقوبيّ: ٢٠١/٢.

[١١٨] – القلم: ٤.

[١١٩] – الأحزاب: ٢١.

[١٢٠] – أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء ﷺ: ٩٩.

[١٢١] – ينظر: أدب فاطمة الزهراء ﷺ: ٤٨.

[١٢٢] – صحيح البخاري: باب مناقب الإمام عليّ بن أبي طالبٍ ﷺ: ٤٦٧/١٢.

[١٢٣] – البيان الحِجاجيّ في إعجاز القرآن الكريم: عبد الحليم بن عيسى (بحث): ١٣.

[١٢٤] – ينظر: بحار الأنوار: باب– ما أظهر من النّدامة على غصب الخلافة–: ٢٩٦/٣٠ وما بعدها. وينظر: نفسه: ١٤٩/٤٣.

[١٢٥] – ينظر: الحِجاج في النّص القرآنيّ –سورة الأنبياء أنموذجاً–: إيمان درنوني (رسالة): ٨٩.

[١٢٦] – ينظر: أسلوب الاستفهام القرآن الكريم –غرضه، إعرابه–: عبد الكريم محمود يوسف: ٦٠.

[١٢٧] – معاني النّحو: د.فاضل السامرائي، بالتّصرف: ٢١٩/٤.

[١٢٨] – ينظر: بنية الحِجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء ﷺ (بحث): ٤٩.

[١٢٩] – ينظر: المرجع والصفحة أنفسهما.

[١٣٠] – ينظر: أسلوب الاستفهام القرآن الكريم –غرضه، إعرابه–: ٣٩.

[١٣١] – ينظر: نفسه: ٤٠.

[١٣٢] – ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء ﷺ: ١٠٠وما بعدها.

[١٣٣] – ينظر: بنية الحِجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء ﷺ (بحث): ٤٩.

[١٣٤] – ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء ﷺ: ٩٩.

[١٣٥] – ينظر: نفسه: ١٠١.

[١٣٦] – ينظر: معاني النحو: ٢٠٠ وما بعدها، وينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء ﷺ: ١٠٣، و١٢١ وما بعدها.

[١٣٧] – ينظر: نفسه: ١٥٣.

[١٣٨] – القلم: ٣٥–٣٧.

[١٣٩] – ينظر: الحِجاج في النّص القرآنيّ –سورة الأنبياء أنموذجاً–: إيمان درنوني (رسالة): ١٥٤.

[١٤٠] – ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء ﷺ: ١١٧.

[١٤١] – ينظر: المغني: لابن هشام الأنصاريّ: ١١٩/١.

[١٤٢] – ينظر: أسلوب الاستفهام القرآن الكريم –غرضه، إعرابه–: ٣٢. وينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة ﷺ: ١٢٥ وما بعدها.

[١٤٣] – بنو قَيْلَة: هم الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار؛ إذْ انخرطوا داخلين في جبهة الخصم الظّالم، وقَيلة اسم أمّ لهم قديمة، هي قيلة بنت كاهل. تنظر: اللمعة البيضاء: للتبريزيّ الأنصاريّ (ت ١٣١٠هـ): ٦٧٢.

[١٤٤] – في بعض النّسخ (فَأَنَّى حِرْتُمْ بَعْدَ البيان، أي: من حيرتهم بعد بيان الحال، وتجلى سبيل الحقّ ومآله)، ينظر: اللمعة البيضاء: لمحمّد عليّ التبريزيّ الأنصاريّ (ت ١٣١٠هـ): ٦٧٠.

[١٤٥] – ينظر: اللمعة البيضاء: ٦٧٨.

[١٤٦] – ينظر: الإقناع في الخطاب القرآنيّ: هشام بلخير (رسالة): ١١٧.

[١٤٧] – ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء ﷺ: ١٢٩.

[١٤٨] – ينظر: اللمعة البيضاء: ٧٠٣.

[١٤٩] – ينظر: أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم: محمّد علي نوح فوجيل: ٧٨.

## ◆ القُرآنُ الكَرِيْمُ

### أ- الكُتُب المَطبوعة:


١-الاحتجاج: لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطّبرسيّ (ت٥٦٠هـ)، تحـ/إبراهيم البهادريّ ومحمّد هادي بِه، دار الأُسرة للطباعة والنشر، مطبعة القرآن الكريم الكبرى، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط٧/ ١٤٣٠هـ.

٢- أدب فاطمة الزّهراء ﷺ: د. محمود البستانيّ، مؤسسة التأريخ العربيّ، بيروت-لبنان، ط١/ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣- الآحاد والمثاني: لأبي بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيبانيّ (ت٢٨٧هـ)، تحـ/ د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض- السعودية، ط١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٤- أساس البلاغة: جار الله محمود الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحـ/محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط١/ ١٩٩٨م.

٥- أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء ﷺ: عامر سعيد نجم الدليمي، دار التبليغ الإسلاميّ، العتبة العلوية المقدّسة، العراق- النّجف الأشرف، ط١/ ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٦- أساليب البيان في القرآن: السيّد جعفر الحسينيّ، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران ط١/ ١٤١٣هـ.

٧- أسلوب الاستفهام القرآن الكريم -غرضه، إعرابه-: عبد الكريم محمود يوسف: دار الشام مكتبة الغزّالي للتوزيع، ط١/ ٢٠٠٠م.

٨- أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم: محمّد علي نوح فوجيل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط٢/ ٢٠٠١م.

٩- بحار الأنوار: لمحمّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، تحـ/ لجنة من العلماء والحققين، تعليق الشيخ عليّ النّمازي الشّاهروديّ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.

١٠- تاج العروس: لمحمّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحـ/ عبد السّلام هارون وزملائه، الكويت (د-ت).

١١- تأريخ اليعقوبيّ: لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبيّ (ت٢٨٥هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، (د-ط)/ ١٣٨٤هـ.

١٢- تأريخ دمشق: لابن عساكر، مطبعة دار الكُتب التراثية، بيروت - لبنان، (د-ط)/ ١٣٨٨هـ.

١٣- تأريخ نظريات الحِجاج: فيليب بروتون وزميله، تر/ د.محمّد صالح الغامديّ، مركز النشر العلميّ، مطابع جامعة الملك عبد العزيز- السعودية، ط١/ ٢٠١١م.

١٤- التّداولية والحِجاج - مدخل ونصوص-: صابر الحباشة، صفحات للدراسة وللنشر، دمشق - سوريا، ط١/ ٢٠٠٨م.

١٥- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمّد بن عمر التميميّ الرازيّ (ت ٦٠٤ هـ)، تحـ/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١/ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٦- جامع دواوين الشعر العربيّ على مرّ العصور: موقع أدب على الشبكة العنكبوتية، يربو على واحدٍ وتسعين جزءاً.

١٧- الحِجاج بين النّظرية والأسلوب: بتريك شاوردو، ضمن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر/ أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١/ ٢٠٠٩م.

١٨- الحِجاج في البلاغة المعاصرة: محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.

١٩- الحِجاج والحقيقة وآفاق التأويل: علي الشبعان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط١/ ٢٠١٠م.

٢٠- الحِجاج والمغالطة -من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار-: رشيد الراضي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط١/ ٢٠١٠م.

٢١- الدر المصون في علم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبيّ (ت ٧٥٦ هـ)، تحـ/ د.أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق- سورية، (د-ط-ت).
٢٢- السيميائيات والتأويل: سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط١/ ٢٠٠٥م.
٢٣- سيمياء الصورة العنوانيّة: د.حمد محمود الدُّوخي، بحث ضمن دراسة عنوانها (فضاء الكون الشعريّ)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سورية، ط١/ ٢٠١٠م-١٤٣٠هـ.
٢٤- صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحـ/ أحمد محمّد شاكر، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت- البنان، (د-ط-ت).
٢٥- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيريّ (ت٢٦١هـ)، دار القاهرة، مصر، ط١/ ١٩٥٥م.
٢٦- صورة الآخر في الخطاب القرآنيّ -دراسة نقديّة جماليّة- بالتّصرف: د.حسين عبيد الشمريّ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.
٢٧- عندما نتواصل نغيّر -مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحِجاج-: عبد السلام عشير، دار أفريقيا الشّرق، المغرب، ط١/ ٢٠٠٦م.
٢٨- غريب الحديث في بحار الأنوار: حسين الحسنيّ البيرجنديّ، مركز بحوث دار الحديث، وزارة الثقافة، إيران ط١/ ١٤٢١هـ.
٢٩- في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: محمّد العمري، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب، ط١/ ١٩٨٦م.
٣٠- كامل الزّيارات: لأبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القُمّيّ (ت ٣٦٨ هـ)، دار ومكتبة القارئ للطباعة والنّشر والتّوزيع، النّجف الأشرف- العراق، ط١/ ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٣١- كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥ هـ)، دار الحرية للنشر، بغداد ط١/ ١٩٨٤م.
٣٢- كشف الغمة: لأبي الحسن عليّ بن عيسى الإربليّ (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت- لبنان، (د-ط)/ ١٤٠٥هـ.
٣٣- الكشّاف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٢٨ هـ)، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٣٤- لسان العرب: لابن منظور (ت٧١١هـ)، تحـ/ محمّد الصادق العبيدي وزميله، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربيّ، بيروت- لبنان، ط٣/(د-ت).
٣٥- اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزّهراء ﷺ: لمحمّد عليّ بن أحمد التّبريزيّ الأنصاريّ (ت ١٣١٠هـ)، تحـ/ هاشم الميلانيّ، دار التبليغ الإسلاميّ، بيروت- لبنان، ط٢/ ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٣٦- مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحـ/ محمّد عبد السّلام عبد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١/ ١٩٩٣م.
٣٧- معاني النّحو: د.فاضل السامرائي، دار إحياء التراث العربيّ، مؤسسة التأريخ العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٣٨- المعجم الوسيط: لمجمع اللغة العربية، إشراف: عبد السّلام محمّد هارون، المكتبة العلمية، طهران- إيران (د-ط-ت).
٣٩- المغني اللبيب: لابن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١ هـ)، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١/ ١٩٩٨م.
٤٠- النّظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: محمّد طروس، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د-ط-ت).

**ب- الدوريات:**

١-استبار التّكرار، استبار التّلقي تكرار التراكم: أ.د.عبد الكريم راضي جعفر، مجلة الموقف الثّقافي، ع٣٥٤/ ٢٠٠١م.
٢- بنية الحِجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء ﷺ: د.فاطمة كريم رسن، مجلة الأُستاذ، ع٢٠٤-م١/ ٢٠١٣م.
٣- البيان الحِجاجيّ في إعجاز القرآن الكريم: عبد الحليم بن عيسى، مجلة التراث العربيّ، دمشق-سوريا، ع١٠٢/٢٠٠٦م.

٤- فاعلية التّكرار في بِنية الخطاب الشّعريّ: عبد الفتاح يوسف، مجلة فصول النقد الأدبيّ، مج ع ٦٢، صيف وخريف/ ,٢٠٠٣
٥- النّص الحِجاجيّ العربيّ -دراسة في وسائل الإقناع-: محمّد العبد، مجلة فصول النقد الأدبيّ، مج ع ٦٠، شتاء/ ٢٠٠٢م.

**جـ- الرّسائل الجامعيّة:**

١-الاحتجاج العقليّ والمعنى البلاغيّ -دراسة وصفيّة-: ناصر بن دخيل الله السّعيديّ، جامعة أمّ القرى-كلية اللغة العربية/ فرع الأدب والبلاغة والنّقد- أطروحة دكتوراه، ٢٠٠٤/٢٠٠٥م.
٢- الإقناع في الخطاب القرآنيّ سورة الشّعراء نموذجاً -دراسة حِجاجيّ-: هشام بلخير، جامعة الحاج لخضر-كلية الآداب واللغات/ قسم اللغة العربية- رسالة ماجستير الجزائر، ٢٠١١/٢٠١٢م.
٣- الحِجاج في خطابات النّبي إبراهيم عليه السلام: سعدية لكحل، جامعة مولود معمري-كلية الآداب واللغات/ قسم الأدب العربيّ، رسالة ماجستير، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.
٤- الحِجاج في النّص القرآنيّ -سورة الأنبياء أنموذجاً-: إيمان درنوني، جامعة الحاج لخضر-كلية الآداب واللغات/ قسم اللغة العربية وآدابها، رسالة ماجستير، ٢٠١٢/٢٠١٣م.
٥- العوامل الحِجاجيّة في اللغة العربية: عزّ الدين الناجح، جامعة منوبة-كلية الآداب واللغات/قسم اللغة والبلاغة والنقد، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمّقة، ٢٠٠٢/٢٠٠٤م.